عادل فهمي عبد الله

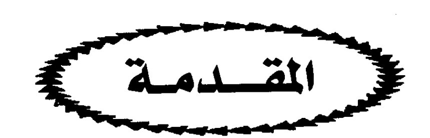
فن الكرم والضيافة

الدار الذهبية



الدار الذهبية للطبع والنشر والتوزيع

٨ ش الجمهورية - عابدين - القاهرة - ت : ٣٩١٠٣٥٤ - فاكس : ٧٩٤٦٠٣١



المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد ﷺ- وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد ..

فمما لاشك فيه أن الكرم بصفة عامة، وإكرام الضيف بصفة خاصة، هذا كله من مكارم الأخلاق، والتى تدعو إليها الفطرة السليمة والنفس السوية ومن ثم فقد حث الإسلام على الكرم وإكرام الضيف، وجعل ذلك من الإيمان. فقد قال رسول الله ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»** متفق عليه.

كما أن التهادى بين الناس بصفة عامة، وبين الإخوان والأحباب والأصحاب وذوى الأرحام بصفة خاصة، هذا التهادى مستحب، ومندوب ومطلوب. وقد حثنا أيضا عليه ديننا الحنيف.

قال ﷺ **«تهادوا تحابوا»** - رواه الترمذى - فالهدية تذهب ما فى القلوب من ضغائن وأحقاد، وتصفى النفوس من الشوائب، وما يعلق بها من كدر الحياة اليومية ومنغصاتها.

وحول فنون الكرم والضيافة وتقديم الهدية يدور حديثنا فى الصفحات القادمة إن شاء الله، داعين المولى تبارك وتعالى حسن التوفيق، والسداد والعون والرشاد، آملين راجين مثوبته ورحمته ورضوانه، إنه نعم المجيب، والحمد لله رب العالمين.

منزلة الأخلاق

فى الإســلام



١ - حسن الخلق غاية للرسالة السماوية الخاتمة:

عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[١]

وفى رواية «صالح الأخلاق»

ولقد مدح الله تعالى رسول ﷺ فى كتابه العزيز فقال:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢]

ولقد جمع الرسول ﷺ البر فى كلمة واحدة فقال:

«البر حسن الخلق» [٣]

فالبر وهو جماع الخير جعله ﷺ هو حسن الخلق.

وكلمة «البر حسن الخلق» مثل قوله ﷺ: «الحج عرفة»، يعنى أن البر لا يتم إلا بتمام الأخلاق وحسنها وجمالها، كما أن الحج لا يتم إلا بالوقوف بعرفة، باعتباره ركنا أساسيا ينعدم بدونه معنى الحج. ويعتبر باطلا، وكذلك البر يصبح غير ذى معنى إذا ساء الخلق، وأصبح المسلم بعيدا عن مكارم الأخلاق، وإذا كان البر الذى جمعه النبى ﷺ فى «حسن الخلق» هو البر الوارد فى الآية الكريمة: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ

---

(١) رواه الحاكم وصححه على شرط مسلم ورواه البيهقى فى الكبرى والشعب والطبرانى فى الأوسط.

(٢) سورة القلم الآية رقم (٤)   (٣) رواه مسلم وغيره

وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.(١)

بما اشتملت عليه هذه الآية من أمور تدخل - حسب تقسيم العلماء - فى أمور كثيرة كالعقائد والعبادات والأخلاق، فإن هذا يعنى فيما يعنى أن كل هذه الأمور تصب فى الأخلاق.

فالإيمان بالله تعالى وكتبه ورسله يحض على السمو والارتقاء بالنفس البشرية، لتصبح نفسا تخاف الله تعالى وتؤمن به كأنها تراه، ومن ثم فإن هذه النفس سوف تصبح شديدة الشفافية، ومن كانت هذه سمته. حسن خلقه، وصلحت علاقته بالناس، لأن أساس حسن العلاقة بالخلق حسن العلاقة بالخالق جل وعلا، كما أن العبادات كلها تحض على مكارم الأخلاق.

فالصلاة مثلا يقول تعالى فيها: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.(٢)

وفى الزكاة يقول جل وعلا: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾(٣)

كما أن الزكاة من جانبها الاجتماعى خلق من أعظم الأخلاق.

وفى الصيام يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٤)

ويقول ﷺ:

«من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع

---

(١) سورة البقرة الآية (١٧٧)
(٢) سورة العنكبوت الآية (٤٥)
(٣) سورة التوبة الآية رقم (١٠٣)
(٤) سورة البقرة الآية (١٨٣)

طعامه وشرابه».[1]

وفى الحج يقول تعالى:

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾. [2]

وهذه هى الفرائض الأساسية، والأركان التى يرتكز عليها الدين الحنيف، كلها جعلت لتحسين الأخلاق، وللدعوة إلى مكارمها، ولا سبيل إلى قبولها من الخالق جل وعلا إلا إذا أتت ثمرتها فى خلق المسلم.

أما المسلم الذى يؤديها، ولا تؤثر فى أخلاقه فتردعه عن الباطل، وتحضه على الحق، هذا المسلم من الخاسرين يوم القيامة، وتأتى صلواته وزكواته وصيامه كل هذا يأتى شاهدا عليه لا شاهدا له، ويأتى مفلسا يوم القيامة من الحسنات. وإلى هذا يشير ﷺ فى حديثه لأصحابه:

«أتدرون من المفلس؟

قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع.

قال ﷺ: «إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وحج، ويأتى وقد شتم هذا، وضرب هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته، أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طرح فى النار».[3]

هذا جزاء من فرق بين العبادة والأخلاق، وبين الدين والدنيا، فظن أنه بصلاته وصيامه وزكاته وحجه ينال أعلى الدرجات، وإن شتم وسب وسرق، وقتل.. إلخ.. هذا جزاؤه:

أن تفنى حسناته كلها، ويأخذ من سيئات من ظلمهم فتطرح عليه ثم يطرح فى النار، وبئس القرار.

---

(١) رواه البخارى وغيره

(٢) سورة البقرة الآية (١٩٧)   (٣) رواه مسلم

وهذا يدعونا إلى القول بأن:

(٢) حسن الخلق سبب فى دخول الجنة وسوء الخلق سبب فى دخول النار:

ومما يشهد لهذا المعنى أن النبى ﷺ حكى أن رجلا سقى كلبا فغفر الله له، روى أبوهريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ فقال:

«بينما رجل يمشى فاشتد عليه العطش، فنزل بئرا فشرب منها، ثم خرج فإذا بكلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذى بلغ بى، فملأ خفه، ثم امسكه بفيه، ثم رقى فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا فى البهائم أجرا؟ قال: «فى كل كبد رطبة أجر» [1] فهذا الرجل غفر الله له بحسن خلقه، ورحمته التى سقى بها الكلب، حين شعر بشدة عطشه، فكيف لو سقى إنسانا، أو رحمه؟!

وعن نافع عن ابن عمر الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الرجل ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم فى سبيل الله»**.[2]

ويقول عبدالله بن سلام: لما رأيت وجه رسول الله ﷺ علمت أن وجهه ليس وجه كذاب، وكان أول ما سمعته يقول:

«أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام».[3]

أما سوء الخلق فهو يورد المهالك، مهما كان صاحب سوء الخلق مصليا أو مزكيا أو حاجا لبيت الله الحرام، وقد بين هذا المعنى حديث المفلس جيدا.

بل إن بعض الأعمال التى قد يظن بعض الناس أنها تافهة أو بسيطة وهى من سوء الأخلاق، قد جعلها النبى ﷺ كبيرة، وسببا فى دخول النار، من ذلك إيذاء الجار.

---

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما

(٢) رواه أبو داود وأحمد والحاكم وصححه على شرط الشيخين وابن حبان وغيرهم

(٣) رواه الترمذى وصححه والحاكم وصححه على شرط الشيخين كما رواه احمد وابن ماجه وابن حبان

فقد قيل لرسول الله صلى عليه وسلم: «إن فلانة تصلى الليل وتصوم النهار وفى لسانها شىء يؤذى جيرانها، سليطة، قال: لا خير فيها، هى فى النار..»[1]

وكما أن رجــلا سقى كلبا فغفر الله له كما جاء فى الســنة الصحيحة، فقد جاء أيضا أن امرأة دخلت النار فى هرة حبستها، فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال:

قال رسول الله ﷺ: «دخلت امرأة النار فى هرة حبستها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض»[2]

وهذه المرأة بلاشك نزع منها خلق الرحمة ومن نزع منه خلق الرحمــة نزعت منه ربقة الإسلام وحتى لو كان مع الحيوان فما بالك بمن نزع منه خلق الرحمة مع الإنسان؟!

هذه امرأة دخلت النار فى هرة حبستها فلا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض فكيف بمن يحبس إنسانا ظلما؟!

وكيف بمن يقوم بتعذيبه ؟!! ولهذا فقد استعاذ النبى ﷺ من الظلم وعلمنا الاستعاذة منه فى دعائه ﷺ «اللهم إنى أعوذ بك من ان أَضل أو أُضل أو أَذل أو أُذل أو أَظلم أو أُظلم أو أَجهل أو يُجهل على»[3]

كما كـان يسـتعيذ ﷺ من سوء الاخلاق عموما وكان من دعائه.

«اللهم إنى أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق»[4]

(٣) بعض مما جاء فى خلقه ﷺ:

- سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كيف كان خلق رسول الله ﷺ ؟!

---

(١) رواه الحاكم وصحح إسناده والبيهقى فى شعب الإيمان والبخارى فى الأدب المفرد

(٢) رواه البخارى ومسلم (٣) رواه ابن ماجه والنسائى

(٤) رواه أبو داود والنسائى فى (الكبرى) و(المجتبى)

قالت: كان خلقه القرآن.[1]

- عن عمرة عن عائشة قالت سألناها كيف كان رسول الله ﷺ اذا خلا مع نسائه؟ قالت: كان كرجل من رجالكم كان كأحسن الناس خلقا وأكرمهم كرما».[2]

-عن أبى عبدالله الجدلى قال: قلت لعائشة كيف كان خلق رسول الله ﷺ فى اهله؟ قالت: كأحسن الناس خلقا.

لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا فى الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح».[3]

- عن جابر رضي الله عنه- قال: «ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا».[4]

- عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه - قال: «كان رسول الله ﷺ اشد حياء من العذراء فى خدرها وكان اذا كره شيئا عرفناه فى وجهه».[5]

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ لا يواجه أحداً بما يكره».[6]

- عن ابن عمر- رضى الله عنهما- قال: «ما رايت أحدا أجود ولا انجد ولا اشجع من رسول ﷺ».[7]

- عن أبى الطفيل قال: «رأيت رسول الله ﷺ يقسم لحما بالجعرانة فأتت امرأة فبسط لها رادءه فقلت من هذه؟»

---

(١) رواه أحمد والبخارى فى (الأدب المفرد) والبيهقى فى (الشعب) والطبرانى فى الأوسط

(٢) «الكرم والجود» للبرجلانى المتوفى سنة ٢٣٨ هـ - ط دار ابن حزم- بيروت ١٤١٢هـ

(٣) المصدر السابق (٤) رواه البخارى ومسلم

(٥) رواه البخارى ومسلم

(٦) مكارم الأخلاق (١/٧٢)

(٧) مكارم الاخلاق (١/٦٠) لابن أبى الدنيا

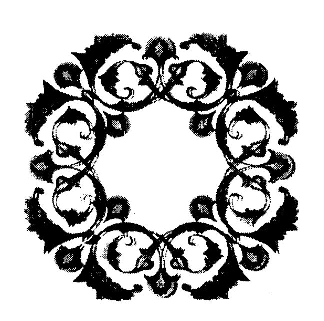
قالوا: أمه التى أرضعته.[1]

وهذا من تواضعه ﷺ ووفائه وحسن عرفانه بالجميل وحفظ الحق لأهله.

- عن عائشة - رضى الله عنها- قالت: «كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها».[2]

- عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون فى رمضان إن جبريل عليه السلام كان يلقاه كل ليلة فى رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن فاذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة».[3]

- عن عائشة رضى الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ ألين الناس وأكرم الناس وكان رجلا من رجالكم إلا انه كان ضاحكًا بساماً».[4]



(١) رواه أبوداود والحاكم وصحح إسناده

(٢) رواه البخارى وغيره

(٣) رواه البخارى ومسلم

(٤) مكارم الأخلاق (١/١٢٠) لابن أبى الدنيا

فضل الضيافة والكرم
ومنزلة الكريم السخى



فضل الضيافة والكرم

إذا كان الكرم صفة الأحرار من العرب قبل الإسلام فلاشك أنه صفة ألزم لكل مسلم مؤمن موحد وكيف لا والكرم صفة الخالق جل وعلا سمى بها نفسه وأمر بها عباده.

عن سعد بن أبى وقاص- رضي الله عنه قال: **«إن الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم جواد يحب الجود»**.(١)

والله تعالى يحب أهل الكرم ويحبب فيهم الناس.

عن أبى هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد عن النار وإن البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار»**.(٢)

وعن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ: **«خلقان يحبهما الله وخلقان يبغضهما الله عز وجل فأما اللذان يحبهما الله تعالى فحسن الخلق والسخاء وأما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل»**.(٣)

فالبخل صفة لا ينبغى أن يتصف بها مسلم وداء ينبغى أن يبرأ منه كل مؤمن بل ربما كان البخل من أشد الأدواء على المسلم.

ولهذا جاءت السنة بالتحذير من البخل واعتباره من أسوأ الأخلاق والتى لا ينبغى أن تكون فى مؤمن أبدا.

---

(١) رواه الترمذى والبزار وابن أبى ليلى (٢) رواه الترمذى

(٣) رواه البيهقى فى (شعب الإيمان)



التحذير من البخل والبخلاء

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.[1]

قدم وفد بنى لحيان على رسول الله ﷺ فقال: «من سيدكم يا بنى لحيان؟

قالوا: سيدنا جد بن قيس إلا انه رجل فيه بخل قال ﷺ: وأى داء أدوا من البخل!

ولكن سيدكم عمرو بن الجموح».[2]

يعنى جعل عليهم عمرو بن الجموح وذلك لكرمه وسخائه ونحى عنهم جد بن قيس لبخله وشحه فالشح يورد صاحبه المهالك ويحمله على سفك الدماء واستحلال المحارم.

هذا ما يؤكده الحبيب ﷺ حيث قال:

«إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم».[3]

ولقد صرح النبى ﷺ بأن البخيل لا يدخل الجنة حين قال:

«لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا منان».[4]

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٨٠)

(٢) رواه الحاكم بلفظ قريب وصححه على شرط مسلم، ورواه الطبرانى فى الصغير

(٣) رواه مسلم وغيره (٤) رواه أحمد والترمذى وحسنه

ولهذا وجب على كل مسلم أن يستعيذ من البخل لأن الاستعاذة من البخل استعاذة من النار حيث إنه طريق إليها ولقد استعاذ منه رسول الله ﷺ فقال: «اللهم إنى أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر».[1]

نعم فالبخل شر بل ربما كان أشر ما فى الإنسان فعن جابر- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «شر ما فى الإنسان شح هالع وجبن خالع».[2]

ولهذا استحق من تخلص من الشح ووقى نفسه شروره استحق أن يكون من المفلحين الفائزين يوم الدين.

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[3]

قال الشعبى «لا أدرى أيهما أبعد غورا فى نار جهنم البخل أم الكذب»

وقال طلحة بن عبيد الله «إنا لنجد بأموالنا ما يجد البخلاء لكننا نتصبر» يعنى نحن نحب المال لكن حبنا لله تعالى وللإنفاق فى سبيله أشد فننتصر بهذا عن ذاك.

لذا كان من صفة المؤمن ما ذكره الله تعالى فى كتابه فى قوله: «وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين».[4]

وفى قوله تعالى:

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾.[5]

قال الحافظ ابن كثير فى تفسيره « .... أى ويطعمون الطعام فى حال محبتهم له وشهوتهم له قال مجاهد ومقاتل واختاره ابن جرير كقوله تعالى

---

(١) رواه البخارى (٢) رواه أبوداود

(٣) سورة الحشر الآية (٩) (٤) سورة البقرة الآية (١٧٧)

(٥) سورة الإنسان الآية (٨)

«وآتى المال على حبه» وكقوله تعالى:

﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ[1]﴾.[2]

فطبيعة الإنسان أنه يحب المال لكن حبه للمال هذا هل يمنعه من أداء حق الله وحق الناس أم لا؟

هل يصبح سخيّاً كريماً ام شحيحاً بخيلاً؟ فإن كانت الأولى فهو من الصالحين وصدقته من أفضل الصدقات قال ﷺ:

«أفضل الصدقة أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر».[3]

أما إن كانت الثانية فبخل بماله فيقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ﴾.[4]

فبخله هذا مردود عليه وهو من الخاسرين يخسر فى الدنيا محبة الخلق والخالق وفى الآخرة يخسر حسناته وذلك هو الخسران المبين.

قال الأصمعى: سمعت أعرابيا وقد وصف رجلاً فقال: لقد صغر فلان فى عينى لعظم الدنيا فى عينه وكأنما يرى السائل ملك الموت إذا أتاه».

فكيف إذا عاش الأعرابى لزماننا ووجد «إعلاما» كل وظيفته أنه يحض على تعظيم الدنيا فى عيون الناس وكأنها هى نهاية المطاف فأنشأ جيلاً كل هدفه متعة رخيصة فحسب لا يفكر فى آخرته بقدر ما يفكر فى دنياه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ويقال: النظر إلى البخيل يقسى القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين.

ولقد مُدحت امرأة عند رسول الله ﷺ فقالوا: «صوامة قوامة إلا أن فيها بخلاً قال ﷺ» «فما خيرها إذن؟»

(١) سورة آل عمران الآية رقم (٩٢) (٢) تفسير ابن كثير (٤/٤٥٥)
(٣) رواه البخارى ومسلم (٤) سورة محمد الآية رقم (٣٨)

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: «ضرب رسول الله ﷺ مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد قد اضطرت أيديهما إلى ثديهما وتراقيهما فجعل المتصدق كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه حتى تغشى انامله وتعفو أثره وجعل البخيل كلما هم بصدقة قلصت وأخذت كل حلقة مكانها».

قال أبو هريرة «فأنا رأيت رسول الله ﷺ يقول بأصبعه هكذا فى جبته فرايته يوسعها ولا تتسع».[1]

قال العلامة المحقق ابن القيم فى شرح هذا الحديث:

«ولما كان البخيل محبوسا عن الإحسان ممنوعا عن البر والخير كان جزاؤه من جنس عمله فهو ضيق الصدر ممنوع من الانشراح ضيق العطن صغير النفس قليل الفرح كثير الهم والغم والحزن لا يكاد تقضى له حاجة ولا يعان على مطلوب فهو كرجل عليه جبة من حديد قد جمعت يداه إلى عنقه بحيث لا يتمكن من إخراجها أو توسيع تلك الجبة لزمت كل حلقة من حلقاتها موضعها وهكذا البخيل كلما أراد أن يتصدق منعه بخله فيبقى قلبه فى سجنه كما هو والمتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه وانفسح بها صدره فهو بمنزلة اتساع تلك الجبة عليه فكلما تصدق اتسع وانفسح وانشرح وقوى فرحه وعظم سروره ولولم يكن فى الصدقة إلا هذه الفائدة وحدها لكان العبد حقيقا بالاستكثار منها والمبادرة إليها وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2]

كان عبدالرحمن بن عوف أو سعد بن أبى وقاص يطوف بالبيت وليس له دأب الا هذه الدعوة: «رب قنى شح نفسى رب قنى شح نفسى» فقيل له: أما

(١) رواه البخارى ومسلم

(٢) سورة الحشر الآية (٩)

تدعو بغير هذه الدعوة؟

قال: «إذا وقيت شح نفسى فقد أفلحت» والفرق بين الشح والبخل أن الشح هو شدة الحرص على الشئ والإحفاء فى طلبه والاستقصاء فى تحصيله وجشع النفس عليه والبخل منع إنفاقه بعد حصوله وحبسه وإمساكه فهو شحيح قبل حصوله بخيل بعد حصوله فالبخل ثمرة الشح والشح يدعو إلى البخل والشح كامن فى النفس فمن بخل فقد أطاع شحه ومن لم يبخل فقد عصى شحه ووقى شره».[1]



(١) «الوابل الصيب» للامام ابن القيم المتوفى سنة ٧٥١ هـ ط دار الكتاب العربى- بيروت ١٤٠٥ هـ- تحقيق محمد عبدالرحمن عوض



حد السخاء والكرم

حـــد الســخـاء

ويقول ابن القيم: «وحد السخاء بذل ما يحتاج إليه عند الحاجة وأن يوصل ذلك إلى مستحقه بقدر الطاقة وليس كما قال البعض - من نقص علمه - «حد الجود بذل الموجود» ولو كان كما قال هذا القائل لارتفع اسم السرف والتبذير وقد ورد الكتاب بذمهما وجاءت السنة بالنهى عنهما.

وإذا كان السخاء محمودا فمن وقف على حده سمى كريما وكان للحمد مستوجبا ومن قصر عنه كان بخيلا وكان للذم مستوجبا وقد روى فى الأثر أن الله عز وجل أقسم بعزته ألا يجاوره فيها بخيلا.. والسخاء نوعان فأشرفهما سخاؤك عما بيد غيرك والثانى سخاؤك ببذل ما فى يدك فقد يكون الرجل من أسخى الناس وهو لا يعطيهم شيئا لأنه سخا عما فى أيديهم.

وهذا معنى قـــول بعضهم: «السخاء أن تكون بمالك متبرعا وعن مال غيرك متورعا».

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: «أوحى الله إلى إبراهيم ﷺ: أتدرى لما اتخذتك خليلا؟ قال: لا قال «لأنى رأيت العطاء أحب اليك من الأخذ» وهذه صفة من صفات الرب جل جلاله فإنه يعطى ولا يأخذ ويطعِم ولا يطعَم وهو أجود الأجودين وأكرم الأكرمين وأحب الخلق إليه من اتصف بمقتضيات صفاته فإنه كريم يحب الكريم من عبادة وعالم يحب العلماء وقادر يحب الشجعان وجميل يحب الجمال.. عن سعيد بن المسيب قال:

«إن الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود فنظفوا أخبيتكم ولا تشبهوا باليهود».[1]

ويقول أبو حامد الغزالى:

«اعلم أن المال إذا كان مفقودا «يقصد كان العبد فقيرا» فينبغى أن يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وإن كان موجودا فينبغى أن يكون حاله الإيثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل فإن السخاء من أخلاق الأنبياء عليهم السلام وهو أصل من أصول النجاة...».[2]

الجود والكرم والسخاء صفات على نقيض البخل والشح فمن أراد أن يكون كريما فعليه أن يتخلى عن صفات البخلاء وأن ينظر فى أحوال الأتقياء الأسخياء الكرماء فيتشبه بهم ويحذو حذوهم ويمتثل أخلاقهم ولن نجد تعبيرا دقيقا للكرم والسخاء إلا أن الناس جميعا يستطيعون أن يميزوا بين البخل والكرم وبين البخيل والكريم أو بين السخى والشحيح.

وقد يكون الكريم فقيرا والبخيل غنيا فلا يوجد ثمة تلازم بين البخل أو الكرم وقلة المال أو كثرته فكم من غنى بخيل وكم من فقير سخى كريم جواد.

والكريم من يعطى بطيب نفس وقد يكون محبا للمال لكنه يبذل تقربا لله رب العالمين وحبا للخلق لكن البخيل حبه للمال يمنعه من البذل حتى على نفسه أو عياله وقد يبخل على غيره ولا يبخل على نفسه وهو عندئذ بخيل وأنانى فهذا لا يحب إلا نفسه ولا يعيش إلا لها وما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط كما يقولون.

---

(١) «الوابل الصيب من الكلم الطيب» ص٥٣ وما بعدها لابن القيم الجوزية المتوفي سنة ٧٥١ هـ - ط دار الكتاب العربي بيروت- ١٤٠٥هـ تحقيق محمد عبدالرحمن عوض

(٢) إحياء علوم الدين (٣/٢٤٣)

والجود والكرم فى الإسلام لا يكون إلا من أجل الله حتى ينال صاحبه الأجر والثواب أما من جاد بماله أو طعامه أو نحوه من أجل الناس أى من أجل أن يقال عنه: كريم جواد سخى... الخ.

فهذا يأخذ أجره من الناس وينال ثوابه من مدحهم له فقط ولا أجر له ولا ثواب عند الله تعالى.

وقد جاء فى حديث أول الناس يقضى يوم القيامة عليه: «ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرف نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟

قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا انفقت فيها لك قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد.

فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى فى النار».[1]

والجود والكرم يكون على الأقرب فالأقرب فمثلا لا يجوز للمسلم أن يجود بماله ويتصدق به على الناس ويدع ذوى قرابته عالة يتكففون الناس فالأولى أن يتصدق عليهم أولا فهم أولى به من غيرهم كذلك لا يجوز له أن يتصدق بماله كله على ذوى قرابته مثلا ويدع أهله وأولاده فقراء لأنهم أولى به من غيرهم.

وحين أراد سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه أن يتصدق بنصف ماله حين ظن أنه قد أتته الوفاة وكان ساعتها ليس له من الأبناء سوى ابنة واحدة فأمره ﷺ ألا يتصدق بأكثر من ثلث ماله.

عن عامر بن سعد عن سعد بن أبى وقاص قال: «جاء النبى ﷺ يعودنى وأنا بمكة وهو يكره أن يموت بالأرض التى هاجر منها قال ﷺ «يرحم الله ابن عفراء».

---

(١) رواه مسلم

قلت: يا رسول الله أوصى بمالى كله؟ قال: لا.

قلت: فالشطر (النصف)؟ قال (لا قلت: الثلث؟

قال: (فالثلث والثلث كثير

إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس فى أيديهم وإنك مهما أنفقت من نفقة فهى صدقة حتى اللقمة التى ترفعها إلى فى امرأتك وعسى الله أن يرفعك فينتفع بك ناس ويضر بك آخرون ولم يكن له يومئذ إلا ابنة.[1]

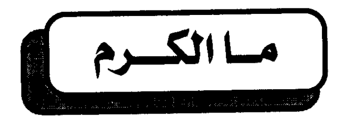
وهذا لا يعنى نفى الإيثار وهو تفضيل الغير على النفس فالإيثار مرتبة عظيمة لا يصل إليها إلا المؤمنون المخلصون والإيثار ليس ضد ما قلناه آنفا.

فالمسلم فى الأصل يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير وقد يفضله على نفسه فى بعض أمور الدنيا فيمنحه ما قد يحتاج إليه حبا له وإيثارا له على نفسه كما فعل الأنصار مع المهاجرين حين اقتسموا معهم أموالهم وديارهم ولم يبخلوا عليهم بشىء وقد يكون لديك شىء تحبه فيأتى ضيف فتقدمه له كرما منك وسخاء وهذا إيثار.

فالكرم والسخاء صفات لا يتحلى بها إلا كل مسلم مؤمن ونقيضها البخل والشح فمن تخلى عن البخل ومن وقى شح نفسه فقد أصبح كريما سخيا والكريم يحب الناس ويحب قدومهم أما البخيل فإنه لا يحب الناس ولا يحب قدومهم ولا زيارتهم له.

---

(١) رواه البخاري ومسلم

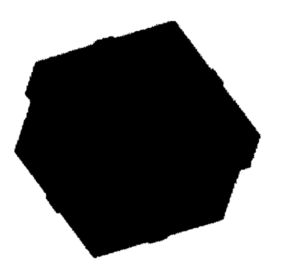


ما الكرم

قال ابن منظور «كرم: الكريم: من صفات الله تعالى وأسمائه وهو الكثير الخير الجواد المعطى الذى لا ينفد عطاؤه وهو الكريم المطلق والكريم الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل.

والكريم اسم جامع لكل ما يحمد.. وجمع الكريم كرماء وكرام وجمع الكرام كرامون.. يقال رجل كريم وقوم كرم كما قالوا أديم وأدم وعمود وعمد.. ونسوة كرائم.. ورجل كرم: كريم.

وكذلك الاثنان والجمع والمونث تقول: امرأة كرم ونسوة كرم لأنه وصف بالمصدر....[1]



(١) لسان العرب لابن منظور المتوفى سنة ٧١١ هـ -ط دار اجياد- بيروت

من صور الكرم المشهورة عند العرب

١ـ كرم حاتم الطائى

٢ـ كرم عبدالله بن جدعان



١- كرم حاتم الطائى

لقد اشتهر العرب بالكرم وحسن الضيافة وكانت هذه لهم فضيلة وخلقا عظيما جاء الإسلام ليقره وليتممه لأن الكرم من محاسن الأخلاق ومن مكارمها.

والنبى ﷺ يقول : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» فالكرم صفة أصيلة عند العرب جاء الإسلام ليهذبها بتعاليمه.

وليجعلها صفة من صفات المؤمنين لأنه «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فيلكرم ضيفه» كما جاء فى الصحيح.

وممن اشتهر عند العرب بالكرم وحسن الضيافة والتفانى فى خدمة الضيف والإحسان إليه «حاتم الطائى» ذلك المثل الفذ فى العطاء والكرم والجود.

نسب حاتم الطائى

قال الحافظ ابن كثير «حاتم الطائى: أحد أجواد الجاهلية وهو حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج بن امرىء القيس بن عدى بن أحزم بن أبى أحزم.. واسمه هرومة بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن الغوث بن طىء أو سفانة الطائى.

وهو والد عدى بن حاتم الصحابى كان جوادا ممدحا فى الجاهلية وكذلك كان ابنه فى الإسلام وكان لحاتم مآثر وأمور عجيبة وأخبار مستغربة فى كرمه يطول ذكرها..».(١)

---

(١) «البداية والنهاية» (٢/٢١٣) للحافظ ابن كثير المتوفي سنة ٧٧٤ هـ- مكتبة المعارف- بيروت

مدح النبى ﷺ حاتم وكرمه

روى البيهقى عن على بن أبى طالب قوله: «يا سبحان الله ما أزهد كثيرا من الناس فى خير عجبا لرجل يجيئه أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لكان ينبغى له أن يسارع فى مكارم الأخلاق فإنها تدل على سبيل النجاح فقام إليه رجل وقال: «فداك أبى وأمى يا أمير المؤمنين أسمعته من رسول الله ﷺ؟!

قال: نعم وما هو خير منه لما أتى بسبايا طىء وقعت جارية ثم اخذ يصفها قال: فلما رأيتها أعجبت بها وقلت لأطلبن من رسول الله ﷺ فيجعلها فى فيئى فلما تكلمت أنسيت جمالها لما رأيت من فصاحتها فقالت: يا محمد: إن رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب فإنى ابنة سيد قومى وإن أبى كان يحمى الذمار ويفك العانى «يعنى الأسير» ويشبع الجائع ويكسو العارى ويقرى الضيف ويطعم الطعام ويفشى السلام ولم يرد طالب حاجة قط.

أنا أبنة حاتم الطائى. فقال النبى ﷺ:

«يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان أبوك مؤمنا لترحمنا عليه».

ثم قال: **خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق والله تعالى يحب مكارم الأخلاق.**

فقام أبوبردة بن نيار فقال: يا رسول الله والله يحب مكارم الأخلاق؟

فقال رسول الله ﷺ: **«والذى نفسى بيده لا يدخل الجنة أحد إلا بحسن خلقه»** البداية والنهاية ٢/٢٢١٦.

من عجائب كرم حاتم الطائى وضيافته

ذكر الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية عن الدارقطنى أن امرأة حاتم الطائى قالت لحاتم «يا أبا سفانة أشتهى أن آكل أنا وأنت طعاما وحدنا ليس عليه أحد.. فأمرها فحولت خيمتها من الجماعة على فرسخ «مسافة بعيدة» وأمر بالطعام فهيىء وهى مرخاة ستورها عليه وعليها فلما قارب نضج الطعام كشف عن رأسه ثم قال:

فلا تطبخى قدرى وسترك دونها * علىَّ إذن ما تطبخين حرام..

ثم كشف الستور وقدم الطعام ودعا الناس فأكل وأكلوا فقالت: ما أتممت لى ما قلت فأجابها فإنى لا تطاوعنى نفسى ونفسى اكرم على من أن يثنى على هذا وقد سبق لى السخاء.

ولما بلغ حاتم الطائى قول المتلمس:

قليل المال تصلحه فيبقى * وحفظ المال خير من فناه

ولا يبقى الكثير على الفساد * وعسف فى البلاد بغير زاد

لما بلغ حاتما هذا القول قال: ما له قطع الله لسانه حمل الناس على البخل فهلا قال:

فلا الجود يفنى المال قبل فنائه * ولا البخل فى مال الشحيح يزيد

فلا تلتمس مالا يعيش مقتر * لكل غدٍ رزق يعود جديد

ألم تر ان المال غادٍ ورائحٌ * وأن الذى يعطيك غير بعيد

«قال القاضى أبوالفرج ـ تعليقا على شعر حاتم ـ ولقد أحسن فى قوله: وأن الذى يعطيك غير بعيد.. ولو كان مسلما لرجى له الخير فى معاده وقد

قال الله فى كتابه «واسألوا الله من فضله» وقال: «وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعانى».. وعن الوضاح بن معبد الطائى قال: وفد حاتم على النعمان بن المنذر فأكرمه وأدناه ثم زوده عند انصرافه جملين ذهبا وورقا غير ما أعطاه من طرائف بلده.

فرحل فلما أشرف على أهله تلقته أعاريب طيء فقالت:

يا حاتم أتيت من عند الملك وأتينا من عند أهالينا بالفقر، فقال حاتم: هلم فخذوا ما بين يدى فتوزعوه.. فوثبوا إلى ما بين يديه من حباء النعمان فاقتسموه، فخرجت إلى حاتم «طريفة» جاريته فقالت له: اتق الله وأبق على نفسك فما يدع هؤلاء دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا فأنشأ يقول:

قالت طريفة ما تبقى دراهمنا * وما بنا سرف فيها ولا خرق

إن يفن ما عندنا فالله يرزقنا * ممن سوانا ولسنا نحن نرتزق

ما يألف الدرهم الكارى خرقتنا * إلا يمر عليها ثم ينطلق

إنا إذا اجتمعت يوما دراهمناش * ظلت إلى سبيل المعروف تستبق

والظاهر أن كرم حاتم الطائى لم يكن ليقتصر على كرم المال وجوده وسخائه فحسب بل كان كريما فى كل شيء، لقد كان صاحب خلق رفيع، وكان رغم كل ذلك متواضعا أشد التواضع.

قال أبو بكر بن عياش: قيل لحاتم: هل فى العرب أجود منك؟

فقال: كل العرب أجود منى.

ومما يدل على كرم أخلاقه أشعاره الكثيرة فى مكارم الأخلاق ومنها قوله:

إذا ما بت أشرب فوق ريّ * لسكر فى الشراب فلا رويت

إذا ما بت أختل عرس جارى * ليخفينى الظلام فلا خفيت

أأفضح جارتى وأخون جارى * فلا والله أفعل ما حييت

ومنها قوله:

مـــا ضـــرّ جـــارا لـى أجـــاوره * إن لا يكـــون لبـــابــه ســـــترُ

أغــضى إذا مـــا جـــارتى بـــرزت * حـــتى يـــوارى جـــارتى الجـــدرُ

إلا فليخسأ المتلصصون الذى توصد أمامهم الأبواب فيسترقون السمع والبصر من هنا وهناك عند جيرانهم وليتعلموا الأدب والحياء من رجل عربى جاهلى لم يدرك الإسلام لكن منعه كرم أخلاقه أن ينظر مجرد نظرة إلى جارته بل يغض طرفه إن بدت جارته حتى يواريها الخدر ولا يضرها حتى لو أن بابها ماله ستر.

وأكرم به من خلق عظيم من أخلاق الإسلام كما جاء فى الحديث «إن لكل دين خلقا وخلق الإسلام الحياء». رواه مالك فى الموطأ

ومن شعره أيضا فى مكارم الأخلاق:

ومـا مـن شـيـمـتى شـتم ابـن عـمـى * ومـا أنـا مـخلـف مـن يـرتجـيـنى

وكلمـة حـاسـد مـن غـيـر جـرم * سـمـعت وقلت مـرى فـانقـذينى

وعـابوها عـلـــىّ فلم تعـبنـى * ولم يـعـرق لـهـا يـومـا جـبـيـنى

وذى وجـهـين يـلـقـانى طـلـيـقـا * ولـيـس إذا تـغـيـب يـأتسـيـنـى

ظفـــرت بعـيـبـه فكفـفـت عنـه   مـحـافظة على حـسـبى ودينى

الكرم متأصل فى عائلة حاتم

ذكر ابن كثير عن الخرائطى فى مكارم الأخلاق أن عنترة بنت عفيف بن عمرو بن امرئ القيس أم حاتم الطائى كانت لا تمسك شيئا سخاء وجودا، وكان إخوتها يمنعونها فتأبى، وكانت امرأة موسرة فحبسوها فى بيت سنة يطعمونها قوتها لعلها تكف عما تصنع ثم أخرجوها بعد سنة وقد ظنوا أنها قد

تركت ذلك الخلق فدفعوا إليها صرة من مالها وقالوا: استمتعى بها فأتتها امرأة من هوازن وكانت تغشاها «يعنى تزورها» فسألتها فقالت: دونك هذه «الصرة» فقد والله مسنى من الجوع ما آليت الاّ أمنع سائلا ثم أنشأت تقول:

لعمرى لقدما عضنى الجوع عضة * فآليت الاّ أمنع الدهره جائعــــا

فقولا لهذا اللائمى اليــوم اعفنى * وإن انت لم تفعل فعض الأصـابعا

فماذا عساكم تقولوا لأختكم سوى * عذلكم أو عـزل من كان مـانعـــا

إذن فليس بمستغرب أن يخرج حاتم بهذه الصورة من الكرم إذا أن أمه ومربيته كانت من أكرم النساء فتعلم منها كرم الأخلاق والطباع وجميل الصفات والخلال حتى أن حاتما ليقول عن نفسه «إنى أعهد من نفسى ثلاث خصال: ما قابلت جارة لريبة قط ولا تمنت علىّ أمانة إلا أديتها ولا أوتى أحد من قبلى بسوء وهذه هى أخلاق المسلمين عرفها أهل الكرم قبل أن يبعث إليهم النبى ﷺ.

ومن أقوال حاتم أيضا:

اخـو الحـرب إن عـضت به الحــرب عـضهـا

وإن شــمــرت يومــا بـه الحــرب شــمــرا

ويحـــمـى إذا مــــا الموت كـــان لقـــاؤه

كـذلك ذو الأشـبـال يحـمى إذا مـا تآمـرا

كليث هزبر كـــان يحـــمى ذمــــاره

رمـــتـــه المنايا سـهـمـهـا فـتـقـطرا

ولقد أدرك أولاد حاتم «سفانة» و«عدى» الإسلام فأسلما وحسن إسلامهما.



٢- عبدالله بن جدعان

ومن أشهر كرماء العرب أيضا عبدالله بن جدعان وهو «عبدالله بن جدعان ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة سيد بنى تيم وهو ابن عم والد أبى بكر الصديق- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وكان من الكرماء الأجواد فى الجاهلية.. وكانت له جفنة يأكل منها الراكب على بعيره.. وذكر ابن قتيبة وغيره أن رسول الله ﷺ قال «لقد كنت أستظل بظل جفنة عبدالله بن جدعان.. أى وقت الظهيرة وفى حديث مقتل أبى جهل أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه تطلبوه بين القتلى وتعرفوه بشج فى ركبته فإنى تزاحمت أنا وهو على مأدبة لابن جدعان فدفعته فسقط على ركبته فوجدوه كذلك وذكروا أنه- أى عبدالله بن جدعان كان يطعم التمر والسويق ويسقى اللبن حتى سمع قول أمية بن أبى الصلت:

ولقد رأيت الفاعلين وفعلهم

فرأيت أكرمهم بنى الديان

البر يلبك بالشهاد طعامهم

لا ما يعللنا به بنو جدعان

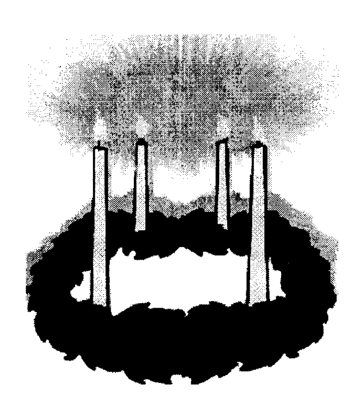
فأرسل ابن جدعان إلى الشام ألفى بعير تحمل البُر والشهد والسمن وجعل مناديا ينادى كل ليلة على ظهر الكعبة: أن هلموا إلى جفنة ابن جدعان.. فقال امية فى ذلك:

ooooooooooooooooooooooooooooooo

له داع بمكـــة مـشـــمـعـل * وآخر فوق كعبتها ينـادي
إلى ردحٍ من الشـيـزي مـلاء * لباب البر يلبك بالشـهادِ

ومع هذا فقد ثبت فى الصحيح لمسلم أن عائشة قالت: يا رسول الله إن عبدالله بن جدعان كان يطعم الطعام ويقرى الضيف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة.

قال ﷺ «لا إنه لم يقل يوما رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين».[1]



(١) «البداية والنهاية» ٢/٢١٨» باختصار

من صور الجود والكرم
عند رسول الله ﷺ
وأدب الضيافة

فمن صور الجود والكرم عند رسول الله ﷺ

- عن سهل بن سعد قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ يوما ببردة قال سهل: هل تدرون ما البردة؟ قالوا: هى الشملة منسوج فيها حاشيتاها.

فقالت: يا رسول الله نسجت هذه بيدى جئت أكسوكها فأخذها رسول الله ﷺ محتاجا إليها فخرج علينا وإنها لإزارة فجسها رجل من القوم فقال: اكسنيها قال: نعم.

فجلس ما شاء الله فى المجلس ثم رجع فطواها ثم أرسل بها إليه فقال القوم ،للرجل، ما أحسنت سألته إياها وقد علمت أنه لا يرد سائلا.

فقال الرجل: أى والله ما سألتها رسول الله ﷺ إلا لتكون كفنى يوم أموت.

قال سهل: فكانت كفنه.[1]

- عن أنس- رضي الله عنه قال: لقلما سئل رسول الله ﷺ شيئا من الدنيا على الإسلام إلا أعطاه فسأله رجل فأمر له بغنم بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمدا ﷺ يعطى عطاء لا يخشى الفاقة ،يعنى الفقر،.[2]

- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ يسأله فقال النبى ﷺ ،ما عندى شىء ولكن ابتع علىّ فإذا جاءنى شىء قضيته.[3] فقال عمر: يا رسول الله قد أعطيته فما كلفك الله مالا تقدر عليه فكره النبى ﷺ قول عمر.

فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله انفق ولا تخف من ذى العرش إقلالا فتبسم رسول الله ﷺ وعرف البشر فى وجهه لقول

(١) رواه البخارى وغيره (٢) رواه مسلم وغيره

(٣) يعنى يشترى الرجل ثم يسدد الرسول ﷺ له قيمة ما اشتراه

الأنصارى ثم قال: بهذا امرت.[1]

- عن صفوان بن أمية قال: اتيت النبى ﷺ وهو من ابغض الناس إلى فأعطانى ثم أعطانى ثم أعطانى فلهو أحب الناس إلى.[2]

- عن عبدالله بن علقمة بن أبى الفغواء الخزاعى عن أبيه قال: «بعثنى النبى ﷺ بمال إلى أبى سفيان بن حرب يقسمه فى فقراء قريش وهم مشركون يتألفهم فلما قدمت مكة دفعت المال إلى أبى سفيان فجعل أبو سفيان يقول: ما رأيت أبرّ من هذا ولا أوصل- يعنى النبى ﷺ- إنا نجاهده ونطلب دمه وهو يبعث إلينا بالصلات يبرنا بها».[3]

- عن محمد بن إسحاق قال: قال رسول الله ﷺ لوفد هوازن ما فعل مالك ابن عوف؟ قالوا: هو بالطائف مع ثقيف فقال رسول الله ﷺ: أخبروا مالكا أنه إن أتانى مسلما رددت إليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل فأتى مالك بذلك فخرج من الطائف فلحق برسول الله ﷺ فأدركه بالجعرانة أو بمكة فرد عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الإبل وأسلم فحسن إسلامهم.

فقال مالك بن عوف:

ما إن رأيت ولا سمعت بواحد * فى الناس كلهم بمثل محمد

أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدى * ومتى تشأ يخبرك عما فى غد

وإذا الكتيبة عردت أبناؤها * بالمشرق وضرب كل مهندش

فكأنه ليث على أشباله * وسط الهباءة قادر فى مرصد

---

(١) رواه البزار فى مسنده، وعبدالرزاق فى مصنفه

(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه

(٣) مكارم الأخلاق (٢٥٧/١)

– عن يعيش بن طحفة قال: كان أبى من أهل الصفة،[1] قال: فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل الرجل يذهب بالرجل والرجل بالرجلين حتى بقيت خامس خمسة فقال لنا رسول الله ﷺ: «انطلقوا فانطلقنا معه إلى منزل عائشة فقال: يا عائشة أطعمينا فجاءت بدشيشة فأكلنا ثم جاءت بحيسة مثل القطاة فأكلنا ثم قال يا عائشة اسقينا فجاءت بعس فشربنا ثم قال: يا عائشة اسقينا فجاءت بقدح صغير من لبن فشربنا ثم قال: إن شئتم بتم وإن شئتم انطلقتم إلى المسجد.

فقلنا: لا بل ننطلق إلى المسجد فبينما أنا نائم فى المسجد على بطنى إذا برجل يحركنى برجله فقال هذه ضجعة يبغضها الله فنظرت فإذا هو رسول الله ﷺ.[2]

عن المقداد قال: «أقبلت أنا وصاحبان لى وقد ذهبت أسماعنا وأبصارنا من الجهد فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله ﷺ فليس أحد منهم يقبلنا.[3]

فأتينا النبى ﷺ فانطلق بنا إلى أهله فإذا ثلاثة أعنز فقال النبى ﷺ «احتلبوا هذا اللبن بيننا».

قال: فكنا نحتلب فيشرب كل إنسان منا نصيبه ونرفع للنبى ﷺ نصيبه قال: فيجىء من الليل فيسلم تسليما لا يوقظ نائما ويسمع اليقظان.[4]

قال: ثم يأتى المسجد فيصلى ثم يأت شرابه فيشرب فأتانى الشيطان

(١) أهل الصفة: جماعة من فقراء المسلمين كانوا يصطفون فى المسجد بعد الصلاة ليتصدق عليهم المسلمون.

(٢) رواه أبو داود وأحمد والبيهقى فى (الشعب)

(٣) وذلك لقلة ذات أيديهم وليس بخلا منهم

(٤) وذلك دليل على أدبه الجم ﷺ وفقه بالنائمين.

ذات ليلة وقد شربت نصيبى فقال: محمد يأتى الأنصار فيتحفونه ويصيب عندهم ما به حاجة إلى هذه الجرعة فأتيتها فشربتها فلما أن وغلت[1] فى بطنى وعلمت أنه ليس إليها سبيل قال: ندّمنى الشيطان فقال ويحك! ما صنعت ؟! أشربت شراب محمد؟ فيجىء فلا يجده فيدعو عليك فتهلك فتذهب دنياك وآخرتك وعلىّ شملة إذا وضعتها على قدمى خرج رأسى وإذا وضعتها على رأسى خرج قدماى وجعل لا يجيئنى النوم.. وأما صاحباى فناما ولم يصنعا ما صنعت قال: فجاء النبى ﷺ فسلم كما كان يسلم ثم أتى المسجد فصلى ثم أتى شرابه فكشف عنه فلم يجد فيه شيئا فرفع رأسه إلى السماء فقلت الآن يدعو علىّ فأهلك فقال: اللهم أطعم من أطعمنى واسق من أسقانى.

قال: فعمدت إلى الشملة فشددتها علىّ وأخذت الشفرة فانطلقت إلى الأعنز أيها أسمن فأذبحها لرسول الله ﷺ فإذا هى حافلة[2] وإذا هن حفل كلهن فعمدت إلى إناء لآل محمد ﷺ ما كانوا يطمعون أن يحتلبوا فيه.. قال فحلبت فيه حتى علته رغوة فجئت إلى رسول الله ﷺ فقال: «أشربتم شرابكم الليلة؟».

قال: قلت: يا رسول الله اشرب فشرب ثم ناولنى فقلت يا رسول الله اشرب فشرب ثم ناولنى فلما عرفت أن النبى ﷺ قد روى وأصبت دعوته ضحكت حتى ألقيت على الأرض قال: فقال النبى ﷺ : «إحدى سوآتك يا مقداد».[3] فقلت: يا رسول الله كان من أمرى كذا وكذا فقال النبى ﷺ «ما هذه إلا رحمة من الله[4] أفلا كنت آذنتنى فنوقظ صاحبينا فيصيبان منها قال: فقلت: والذى بعثك بالحق ما أبالى إذا أصبتها وأصبتها معك من

(١) أى استقرت فيه (٢) يعنى ممتلىء ضرعها باللبن

(٣) فهم النبى ﷺ من ضحك المقداد بهذه الصورة أنه قد فعل سوءة من الأفعال فقال: «إحدى سوآتك يا مقداد» يعنى أخبرنى ماذا فعلت من سيىء الفعال.

(٤) يقصد امتلاء الضرع باللبن رغم أنه قد حلب منذ قليل، وهذه كرامة ومعجزة.

أصابها من الناس.[1]

فى هذا الحديث جملة فوائد زيادة على كرمه وجوده ﷺ منها أدبه ﷺ ورفقه حين كان يدخل فيسلم على أصحابه سلاما خفيفا صوته فلا يوقظ النائم وفى نفس الوقت يسمع اليقظان.

ومنها: محاولة الشيطان لأن يزرع اليأس فى قلب المسلم ليغويه وليرده إلى الكفر إن استطاع إلى ذلك سبيلا وهذا ما فعله مع المقداد حين وسوس إليه أولا بأن يشرب نصيب رسول الله ﷺ من اللبن بدعوى أن هذه جرعة بسيطة قد لا يحتاجها النبى ﷺ خصوصا وأنه يذهب إلى الأنصار وقد يصيب عندهم طعاما وشرابا.. وهى حجة قد تكون مقنعة عند نسيان احترام الحقوق وأدائها لأصحابها فشرب المقداد ثم لما أحس بالخطأ حاول الشيطان أن ييأسه بوسوسته له أن الرسول ﷺ سيأتى فلا يجد نصيبه فيدعو على من أخذه فيهلك.

ومنها: رحمته ﷺ وكرم خلقه حين لم يجد نصيبه من اللبن فلم يدع على من أخذه كما ظن المقداد لكن دعا بأن يطعم الله من أطعمه ويسقى من سقاه وكان أن فرح المقداد بهذه الدعوة وأراد أن تكون من نصيبه ولعلمه أن العنز قد حلبت فلن يكون فيها لبن عمد إلى الشفرة ليذبح واحدة من العنز ليطعم بها رسول الله ﷺ حتى تصيبه دعوته بأن يطعمه الله ويسقيه ومن رحمة الله تعالى أن المقداد وجد العنز قد امتلأت ضرعها باللبن وهذه معجزة وكرامة فحلبها وسقى رسول الله ﷺ وبذلك يكون قد نال دعوته وهذا ما دعاه للضحك لأنه ظن من فعله الأول الهلاك لكن رحمة الله به شاءت له النجاة وأن يكون ممن يطعمهم الله ويسقيهم.

- عن أنس.. رضي الله عنه - قال: «أتى النبى ﷺ بمال من البحرين فقال: «انثروه فى المسجد» وكان أكثر مال أتى به رسول الله ﷺ فخرج ﷺ إلى الصلاة ولم يلتفت إليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه فما كان يرى أحدا إلا أعطاه إذا جاءه العباس فقال: يا رسول الله أعطنى فإنى فاديت

(١) الحديث رواه مسلم وغيره.

نفسى وفاديت عقيلا[١] فقال له رسول الله ﷺ:

«خذ» فحثا فى ثوبه ثم ذهب يقله[٢] فلم يستطع فقال: يا رسول الله مر بعضهم يرفعه إلى قال: لا قال: فارفعه انت علىّ قال: لا فنثر منه ثم ذهب يقله فقال: يا رسول الله مر بعضهم يرفعه على قال: «لا» قال: فارفعه انت قال «لا» فنثر منه ثم احتمله فألقاه على كاهله ثم انطلق فمازال رسول الله ﷺ يتبعه ببصره حتى خفى علينا عجبا من حرصه فما قام رسول الله ﷺ وثم منها درهم.[٣]

قال الحافظ فى الفتح «وفى هذا الحديث بيان كرم النبى ﷺ وعدم التفاته إلى المال قل أم كثر وأن الإمام ينبغى له أن يفرق مال المصالح فى مستحقيها ولا يؤخره.[٤]

إن المتتبع لسيرة المصطفى ﷺ ليرى أنه كان يعطى عطاء من لا يخشى الفقر وكان أجود بالخير من الريح المرسلة ولم يكن يرد سائلا قط وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على كرمه العظيم ﷺ وجوده بالخير وسخائه وأن الدنيا لم تكن تمثل بالنسبة له شيئا فلو ملك الدنيا كلها لما بخل بها على الفقراء ولا المساكين فما كان فى يده كان لغيره من فقراء المسلمين ولقد كان ﷺ يعرف أن الدنيا ستفتح على المسلمين وسوف يكون حظهم منها عظيما لذا فلم يكن يخشى عليهم من الفقر لكن كان يخشى عليهم من التنافس والتباغض والتشاحن بسبب الدنيا.

ولما بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين ليأتى بجزيتها قدم بمال كثير «فسمعت الانصار بقدوم أبى عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع

(١) يقصد ابن أبى طالب وكان اسر مع العباس فى غزوة بدر

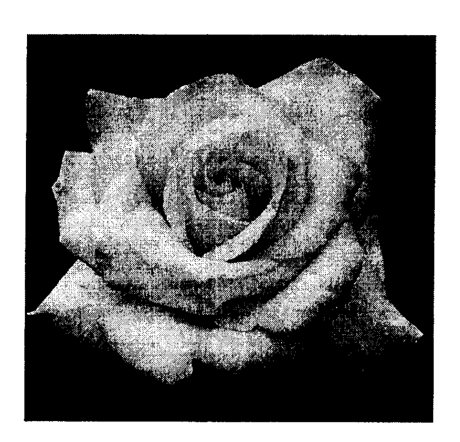
(٢) يقله: يعنى يرفعه

(٣) الحديث رواه البخارى وغيره

(٤) فتح البارى (٣/٧٧) للحافظ ابن حجر العسقلانى

رسـول الله ﷺ فلـمـا صلى رسـول الله ﷺ انصـرف فـتـعـرضـوا له فـتـبـسـم ﷺ حـين رآهم ثم قـال: اظنُكم قـد سـمـعـتم أن أبا عـبـيـدة قـد قـدم بشىء من البحرين؟

فـقـالوا: أجل يـا رسـول الله قـال: أبشـروا وأمـلـوا مـا يسـركم فـوالله مـا الفقر أخشى عليكم ولكنى أخشى أن تبـسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم.[1]



(١) الحديث رواه البخارى ومسلم وغيرهما



كرم خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام

لقد اشتهر خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام بالكرم فكان يكرم الضيف أفضل كرم وكان سخيا جوادا يجود بما عنده لضيفه وللناس وكان يحب إكرام الضيف حبا جما فكان يسارع بذلك ويقوم بواجب الضيافة حق القيام وكان يحزن إذا لم يأته ضيف يوما أو يومين متتاليين ويقال إن الضيف حبس عن إبراهيم خمس عشرة ليلة يعنى لم يأته ضيف خلالها فشق ذلك على إبراهيم عليه السلام وفى اليوم التالى لتلك الليالى جاءت رسل الله- الملائكة» إلى إبراهيم لتبشره بولده إسحاق ومن ورائه يعقوب عليهما السلام فظن إبراهيم أن هؤلاء الملائكة ضيوف لأنهم أتوه فى صورة بشر حسان الوجوه فلم يعرفهم أنهم ملائكة الله فسارع بإكرامهم وإحضار الطعام إليهم ويحكى القرآن الكريم هذا الموقف فى أكثر من موضع منها ما جاء فى سورة الذاريات قال الله تعالى:

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾[1]

قال الحافظ ابن كثير فى تفسير هذه الآيات الكريمات:

«... ذهب الإمام أحمد وطائفة من العلماء إلى وجوب الضيافة وقد وردت السنة بذلك كما هو ظاهر التنزيل.. وقوله تعالى « قوم منكرون» وذلك

(١) سورة الذاريات الآيات (٢٤- ٣٠)

أن الملائكة وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل قدموا عليه فى صورة شبان حسان عليهم مهابة عظيمة ولهذا قال قوم منكرون وقوله عز وجل «فراغ إلى أهله» أى انسل خفية فى سرعة فجاء بفجل سمين أى من خيار ماله وفى الآية الأخرى ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾.[1] أى مشوى على الرضف.[2] فقربه إليهم أى أدناه منهم قال ألا تأكلون تلطف فى العبارة وعرض حسن.

وهذه الآيات انتظمت آداب الضيافة فإنه جاء بطعام من حيث لا يشعرون بسرعة ولم يمتن عليهم أولا فقال نأتيكم بطعام بل جاء به بسرعة وخفاء وأتى بأفضل ما وجد من ماله وهو عجل فتى سمين مشوى «فقربه إليهم» لم يضعه وقال اقتربوا بل وضعه بين أيديهم ولم يأمرهم أمرا يشق على مسامعهم بصيغة الجزم بل قال ألا تأكلون على سبيل العرض والتلطف كما يقول القائل اليوم إن رأيت تتفضل وتحسن وتتصدق فافعل....[3]

وقال العلامة القرطبى فى تفسيرة الجامع لأحكام القرآن «قوله تعالى «فراغ إلى أهله» قال الزجاج: أى عدل إلى أهله.. ويقال أراغ وارتاغ معنى طلب وراغ تريغ يعنى تريد وتطلب وأراغ إلى كذا أى مال إليه.. فعلى هذا يكون راغ وأراغ لغتين بمعنى فجاء بعجل سمين أى جاء ضيفه بعجل قد شواه لهم كما جاء فى «سورة» هود.

... ويقال إن إبراهيم انطلق إلى منزله كالمستخفى من ضيفه لئلا يظهروا على مايريد ان يتخذ لهم من طعام. قوله «فقربه إليهم» يعنى العجل «فقال «ألا تأكلون» قال قتادة: كان عامة مال إبراهيم البقر واختاره لهم سمينا زيادة فى إكرامهم.

وقيل العجل فى بعض اللغات الشاة ذكره القشيرى وفى الصحاح «العجل

---

(١) الآية رقم (٦٩) من سورة هود

(٢) الرضف أى الحجارة المحماة

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٢٣٦/٤) للحافظ بن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ- ط دار الفكر- بيروت- ١٤٠١هـ

ولد البقر والعجول مثله والجمع العجاجيل والأنثى عجلة عن أبى الجراح وبقرة معجل ذات عجل وعجل قبيلة من ربيعة».

قوله تعالى «فأوجس منهم خيفة» أى أحس منهم فى نفسه خوفا وقيل: أضمر لما لم يتحرموا الطعام ومن أخلاق الناس: أن من تحرم بطعام إنسان أمنه.

وقال عمرو بن دينار: قالت الملائكة لا نأكل إلا بالثمن قال كلوا: وأدوا ثمنه قالوا: وما ثمنه؟ قال: تسمون الله إذا أكلتم وتحمدونه إذا فرغتم. فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: لهذا اتخذك الله خليلا.. ولما رأوا بإبراهيم من الخوف قالوا: لا تخف وأعلموه أنهم ملائكة الله ورسله «وبشروه بغلام عليم» أى يولد له من سارة زوجته.

وقيل لما أخبروه أنهم ملائكة لم يصدقهم فدعوا الله فأحيا العجل الذى قربه إليهم وروى عون بن أبى شداد: أن جبريل عليه السلام مسح العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه وأم العجل فى الدار ومعنى «عليم» أى يكون بعد بلوغه من أولى العلم بالله وبدينه والجمهور على أن المبشر به هو إسحاق.. فان الله تعالى يقول ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾[1] وهو نص.[2]

وفيما سبق دليل على حب إبراهيم عليه السلام للضيافة والكرم بل وعلى معرفته بفن الضيافة وآدابها وفيه دليل أيضا على قيام المرأة بخدمة ضيوف زوجها.

ففى قوله تعالى ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ﴾[3] قال العلماء إن سارة رضى الله عنها كانت قائمة تخدم الضيوف الذين هم الملائكة.. حيث إنهم لم يكونون يعلموا أنهم ملائكة.

«قال السدى» لما بعث الله الملائكة لقوم لوط أقبلت تمشى فى صورة

---

(١) سورة الصافات الآية رقم (١١٢)

(٢) تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن (٤٥/١٧). ط- دار الكتب المصرية- القاهرة - الطبعة الثالثة- تحقيق أحمد عبدالعليم البردونى.

(٣) سورة هود الآية (٧١)

رجال شبان حتى نزلوا على إبراهيم فتضيفوه فلما رآهم اجلهم فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين فذبحه ثم شواه فى الرضف وأتاهم به فقعد معهم وقامت سارة تخدمهم فذلك حين يقول «وامرأته قائمة وهو جالس» فى قراءة بن مسعود ..».[1] وبالطبع ينبغى على المرأة اذا قامت على خدمة ضيوف زوجها ان تكون ملتزمة بالزى الشرعى وبالآداب الاسلامية المتبعة عند مخاطبة الأجانب.



(١) تفسير ابن كثير (٢/٤٥٢)



صور من كرم الصحابة والتابعين وآدابهم فى الضيافة



حال الصحابة والتابعين مع الكرم وإكرام الضيف

روى عن الحسن بن الحسن بن على أنه قال لابنة أخيه: إذا جاءك ضيف فضعى وسادتك له فإن الرحمة لا تزال تجرى عليك ما دام ضيفك على وسادتك وما كان عندك من شىء».(1) فقدميه ولو كان خبزا وزيتا.

- عن جابر قال «أتيت أبا بكر رضي الله عنه أسأله فمنعنى ثم أتيته أسأله فمنعنى فقلت: إما أن تعطينى وإما أن تبخل على فقال وأى داء شر من البخل ما من مرة تسألنى إلا وأنا أريد أن أعطيك ألفا فعد لى ثلاثة آلاف.*

فانظر كيف أن أبا بكر - رضي الله عنه - ما رد جابرا الا ليعطيه المزيد من المال حتى عد له ثلاثة آلاف وكيف لا وابوبكر الصديق رضى اللهعنه معروف فى مجال الكرم والصدقات بالخير كله والبركة فهو الجواد السخى الذى أعتق الرقاب فى سبيل الله منذ فجر الدعوة وحرر العبيد وكان يفتديهم من أسيادهم بحر ماله غير آبه بما ينفقه فى سبيل الله وغير خائف على رزقه من النفاد فقد أعتق أبوبكر وحده قبل الهجرة ست رقاب كان بلال سابعهم وهم «عامر بن فهيرة الذى شهد بدرا وأحدا وقتل يوم بئر معونة شهيدا وام عبيس وزنيرة والنهدية وجارية من بنى مؤمل»*.

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إنى مجهود فأرسل صلى الله عليه وسلم إلى بعض نسائه فقالت: والذى بعثك بالحق! ما عندى إلا ماء ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء فقال «من

(1) إكرام الضيف رقم (102) لأبى إسحاق المتوفى سنة 285 هـ

* مكارم الاخلاق (1/125) للحافظ ابن أبى الدنيا

يضيف هذا الليلة رحمه الله».

فقام رجل من الأنصار فقال أنا يارسول الله!

فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته: هل عندك شيء.

قالت: لا إلا قوت صبياني قال: فعلليهم بشيء.. فإذا دخل ضيفنا فاطفئي السراج وأريه أنا نأكل فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفئيه قال: فقعدوا وأكل الضيف فلما أصبح غدا على النبي ﷺ فقال «قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة».(١)

قال الإمام النووي في شرح هذا الحديث «قوله إني مجهود أي أصابني الجهد وهو المشقة والحاجة وسوء العيش والجوع.. هذا الحديث مشتمل على فوائد كثيرة.

منها: ما كان عليه النبي ﷺ وأهل بيته من الزهد في الدنيا والصبر على الجوع وضيق حال الدنيا.

ومنها: أنه ينبغي لكبير القوم أن يبدأ في مواساة الضيف ومن يطرقهم بنفسه فيواسيه من ماله أولا بما يتيسر إن أمكنه ثم يطلب له على سبيل التعاون على البر والتقوى من أصحابه.

ومنها: المواساة في الشدائد.

ومنها: فضيلة إكرام الضيف وإيثاره.

ومنها: منقبة لهذا الأنصاري وامرأته رضي الله عنهما.

ومنها: الاحتيال في إكرام الضيف وإذا كان يمتنع منه رفقا بأهل المنزل لقوله «اطفئي السراج وأريه أنا نأكل».

فإنه لو رأى قلة الطعام وأنهما لا يأكلان معه لامتنع من الأكل.

---

(١) الحديث رواه البخاري ومسلم وغيرهما

وقوله: فانطلق به إلى رحله إلى منزله ورحل الإنسان هو منزله من حجر أو مدر أو شعر أو وبر.

قوله: فقال لامرأته هل عندك شيء؟ قالت: لا.. إلا قوت صبيانى قال فعلليهم بشيء هذا محمول على أن الصبيان لم يكونوا محتاجين إلى الأكل وإنما تطلبه أنفسهم على عادة الصبيان من غير جوع يضرهم فإنهم لو كانوا على حاجة بحيث يضرهم ترك الأكل لكان أكل أطفالهم واجبا ويجب تقديمه على الضيافة وقد أثنى الله ورسوله ﷺ على هذا الرجل وامرأته فدل على انهما لم يتركا واجبا بل أحسنا وأجملا رضى الله عنهما وأما هو وامرأته فآثرا على أنفسهما برضاهما مع حاجتهما. وخصاصتهما فمدحهما الله تعالى وأنزل فيهما «ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة».

ففيه فضيلة الإيثار والحث عليه وقد أجمع العلماء على فضيلة الإيثار بالطعام ونحوه من أمور الدنيا وحظوظ النفس.

قوله ﷺ «عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة».

قال القاضى: «المراد بالعجب من الله رضاه ذلك» قال: «وقد يكون عجبت ملائكة الله وأضافه إليه سبحانه تشريفا».[1] يقول الأستاذ منير الغضبان تعليقا على هذا الحديث وقد ذهب إلى أن الانصارى هو أبوطلحة وزوجته أم سليم بنت ملحان يقول: «وأين نسوة الدنيا يأتين فيشهدن أم سليم وهى تطفىء السراج وتبيت طاوية وتعلل الصبيان ليناموا.

بينما تقيم المرأة الدنيا وتقعدها على زوجها إن أحضر الضيف دون سابق إخبار أو إنذار تحيل البيت جحيما لأنه يظهر مالا يليق للضيف من بساطة الطعام أو قلته..».[2]

---

(١) «صحيح مسلم بشرح النووى ٧/٢٦٤ وما بعدها» للإمام يحيى بن شرف الدين النووى دار الحديث مصر ١٤١٩ هـ- تحقيق وفهرسة: عصام الصبابطى- حازم محمد- عماد عامر

(٢) «الاخوات المؤمنات» منير الغضبان

نعم فهذه نماذج إيمانية نماذج مسلمة تبغى الدار الآخرة ولا تبغى التفاخر بمظاهر دنيوية فارغة كما اليوم.

وما كان لهذه النماذج أن ينزل فيها قرآن يتلى إلى يوم الدين إلا لأنها أخلصت وجهها لله تعالى وكان الكرم لديها صفة أصيلة فى النفوس كرم لا يخالطه الرياء ولا السمعة ولا تخالطه المظاهر الكاذبة الخادعة البراقة لكن كرم أناس هم على الفطرة لم تخالط قلوبهم الأنانية والأثرة بل تعلموا الإيثار والحب من الإسلام ومن أخلاق الإسلام ومن سيدهم وسيد الخلق أجمعين سيدنا محمد ﷺ الذى كان خلقه القرآن.

- يقول حكيم بن حزام- رضي الله عنه- ما أصبحت صباحا قط فرأيت بفنائى طالب حاجة قد ضاق بها ذرعا فقضيتها إلا كانت من النعم التى أحمد الله عليها ولا أصبحت صباحا لم أر بفذائى طالب حاجة إلا كان ذلك من المصائب التى أسأل الله عز وجل الأجر عليها.

- دخل على الحسن بن على رضي الله عنه نفر من أهل الكوفة وهو يأكل طعاما فسلموا عليه وقعدوا فقال لهم الحسن الطعام أيسر من أن يقسم عليه الناس فإذا دخلتم على رجل منزله فقرب طعامه فكلوا من طعامه ولا تنتظروا أن يقول لكم هلموا فإنما يوضع الطعام ليؤكل قال الراوى فتقدم القوم فأكلوا ثم سألوه حاجتهم فقضاها لهم.

- عن عبدالحميد بن جعفر الأنصارى قال: قدم أعرابى المدينة يطلب فى أربع ديات حملها فقيل له عليك بالحسن بن على عليك بعبدالله بن جعفر عليك بسعيد بن العاص عليك بعبد الله بن عباس فدخل المسجد فرأى رجلا يخرج معه جماعة فقال: من هذا؟! فقيل سعيد بن العاص قال هذا أحد أصحابى الذين ذكروا لى فمشى معه فأخبره بالذى قدم له ومن ذكر له وأنه أحدهم وهو ساكت عنه لا يجيبه فلما بلغ باب منزله قال لخازنه قل لهذا الاعرابى فليأت بمن يحمل له فقيل له ائت بمن يحمل لك.

قال: عافا الله سعيدا إنما سألناه ورقا ولم نسأله تمرا.

قال: ويحك ائت بمن يحمل لك فأخرج إليه أربعين ألفا فاحتملها الأعرابى فمضى إلى البادية ولم يلق غيره.

يعنى كفاه سعيدا سؤال غيره من الناس بما أجزل له من العطاء.

* عن الحسن أن ابن عمر كان لا يأكل طعاما إلا ويقيم معه على مائدته يتيما.

* ومن كرم بعض الأصحاب أنه كان لايحب أن يأكل وحده حتى إنه ليخرج طعامه إلى المسجد ليأكل الناس معه هكذا كان رجال من بنى عدى كما يقول أبوالسوار العدوى: كان رجال من بنى عدى يصلون فى هذا المسجد ما أفطر أحد منهم على طعام قط وحده إن وجد من يأكل معه أكل وإلا أخرج طعامه إلى المسجد فأكله مع الناس وأكل الناس معه.

هذا وإن كرم الصحابة لم يقتصر على الرجال دون النساء بل أخذ النساء بنصيبهن الوافر من الثواب الجزيل نتيجة الكرم والجود الذى اتصفن به.

فلقد كانت المرأة تبعث للنبى ﷺ بالطعام والشراب فى المسجد فيوزعه على أصحابه فيأكلون ويشربون وكانت المرأة كذلك تبعث بالكساء للنبى ﷺ كما سبق بيانه.

وبعض نساء الأنصار كن يعرفن بكثرة الضيوف وترددهن على ديارهن.

«قال الشعبى: انطلقت أنا ورجل حتى دخلنا على فاطمة بنت قيس.

فقلنا: حدثينا حديثا سمعتيه من رسول الله ﷺ.

فاطعمتنا رطبا وسقتنا سلتا وقالت: نعم ثم قصت الحديث.[1]

* عن على بن أبى طالب أنه قال «لأن أجمع ناسا من إخوانى على صاع من طعام أحب إلى من أن أدخل سوقكم هذه فأبتاع نسمة فأعتقها».

(١) «الكرم والجود» للبرجلاقى المتوفى سنة ٢٣٨ هـ ط دارا بن حزم- بيروت ١٤١٢ هـ تحقيق د. عامر حسن صبرى

* عن فضالة الشامى قال: كان الحسن إذا دخل عليه إخوانه أتاهم مما يكون عنده ولربما قال لبعضهم أخرج السلة من تحت السرير فيخرجها فإذا بها رطب فيقول إنما ادخرته لكم.

* قال أبو خلدة: دخلنا على محمد بن سيرين أنا وعبدالله بن عوف فرحب بنا وقال ما أدرى ما أتحفكم كل رجل منكم فى بيته خبز ولحم ولكن سأطعمكم شيئا لا أراه فى بيوتكم فجاء بشهدة فكان يقطع بالسكين ويلقمنا.

* عن الحر بن كثير الكندى عن أبيه قال: خرجت مع الحسين بن على رضى الله عنهما من المسجد أشيعه حتى انتهينا إلى بنى تميم وكان متزوجا فيهم فلما انتهينا إلى بابه وقف وقال: ادخل أيها الرجل فقلت: بارك الله لك يا ابن رسول الله فى منزلك وطعامك فقال على ألا ندخر ولا نتكلف لك قال فدخلت فدعا لى بطعام فأتيت به فأصبت منه ودعا بطيب فأصبت منه ثم رفع مصلاه فأخرج من تحته كيسا فيه دراهم فدفعه إلى فقال: استنفق هذه.

قال: فخرجت فعددتها فإذا هى خمس مائة درهم.

* عن الأحنف بن قيس انه قال: ثلاث ليس فيهن انتظار الجنازة إذا وجدت من يحملها والايم إذا أصابت لها كفؤا والضيف إذا نزل لم ننتظر الكلفة.

* وجاء عن حماد بن أبى سليمان أنه كان يفطر كل ليلة فى رمضان مائة إنسان فاذا كانت ليلة الفطر كساهم ثوبا ثوبا وأعطاهم مائة مائة.

* عن أبى هريرة - رضي الله عنه - قال: **خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فقال: ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟**

---

(١) يقصد ابن أبى طالب وكان اسر مع العباس فى غزوة بدر

(٢) يقله: يعنى يرفعه

(٣) الحديث رواه البخارى وغيره

(٤) فتح البارى (٣/٧٧) للحافظ ابن حجر العسقلانى

قالا: الجوع يا رسول الله قال: وأنا والذى نفسى بيده لأخرجنى الذى أخرجكما قوموا فقاموا معه فأتى رجلا من الأنصار فإذا هو ليس فى بيته فلما رأته المرأة قالت: مرحبا وأهلا! فقال لها رسول الله ﷺ: فأين فلان؟

قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء إذ جاء الأنصارى.

فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه ثم قال: الحمد لله ما أحد إليوم أكرم أضيافا منى قال: فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال: كلوا من هذه.

وأخذ المدية* فقال له رسول الله ﷺ ،إياك! والحلوب فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبى بكر وعمر- رضى الله عنهما: والذى نفسى بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة. أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم.(١)

وفى الحديث جملة فوائد ذكرها الإمام النووى فى شرحه لصحيح مسلم فذكر منها قوله: «هذا فيه ما كان عليه النبى ﷺ وكبار الصحابة رضى الله عنهم من التقلل من الدنيا وما ابتلوا به من الجوع وضيق العيش فى أوقات وقد زعم بعض الناس ان هذا كان قبل فتح الفتوح والقرى عليهم وهذا زعم باطل فإن راوى الحديث أبو هريرة ومعلوم أنه أسلم بعد فتح خيبر.

فإن قيل لا يلزم من كونه رواه أن يكون أدرك القضية فلعل سمعها من النبى ﷺ أو غيره فالجواب.. أن هذا خلاف الظاهر ولا ضرورة إليه بل الصواب خلافه وان رسول الله ﷺ لم يزل يتقلب فى إليسار والقلة حتى توفى صلى الله عليه وسلم فتارة يوسر وتارة ينفد ما عنده كما ثبت فى الصحيح عن أبى هريرة رضي الله عنه «خرج رسول اله ﷺ ولم يشبع من خبز الشعير».

---

(١) رواه مسلم وغيره

* المدية: السكين

وعن عائشة «ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام ثلاث ليال تباعا حتى قبض».. فكان النبى ﷺ فى وقت يوسر ثم بعد قليل ينفد ما عنده لإخراجه فى طاعة الله من وجوه البر وإيثار المحتاجين وضيافة الطارقين وتجهيز السرايا وغير ذلك وهكذا كان خلق صاحبيه رضى الله عنهما بل أكثر الصحابة.*

ثم قال النووى: «وقوله ﷺ وأنا والذى نفسى بيده لأخرجنى الذى أخرجكما فيه جواز ذكر الإنسان ما يناله من ألم ونحوه لا على سبيل التشكى وعدم الرضا بل للتسلية والتصبر كفعله ﷺ ولالتماس دعاء أو مساعدة على التسبب فى ذلك العارض فهذا كله ليس بمذموم إنما يذم ما كان تشكيا وتسخطا وتجزعا.. وفيه جواز الحلف بغير استحلاف.

وقوله: «فأتى رجلا من الأنصار» هو أبو الهيثم مالك بن التيهان وفيه جواز الإدلال على الصاحب الذى يوثق به كما ترجمنا له واستتباع جماعة إلى بيته وفيه منقبة لأبى الهيثم إذا جعله النبى ﷺ أهلا لذلك.. وفيه جواز سماع كلام الأجنبية ومراجعتها الكلام للحاجة وجواز إذن المرأة دخول منزل زوجها لمن علمت علما محققا أنه لا يكرههم بحيث لا يخلون بها الخلوة المحرمة.. ومنها استحباب إظهار البشر أو الفرح بالضيف فى وجهه وحمد الله تعالى وهو يسمع على حصوله هذه النعمة والثناء على ضيفه إن لم يخف عليه فتنة فإن خاف لم يثن عليه فى وجهه.. وفيه دليل على استحباب تقديم الفاكهة على الخبز واللحم وغيرهما وفيه استحباب المبادرة للضيف بما تيسر.. قوله:

«وأخذ المدية فقال له الرسول ﷺ إياك والحلوب» المدية: بضم الميم وكسرها هى السكين وتقدم بيانها مرات.

والحلوب: ذات اللبن.. وقد كره جماعة من السلف التكلف للضيف وهو محمول على ما يشق على صاحب البيت مشقة ظاهرة لأن ذلك يمنعه من الإخلاص وكمال السرور بالضيف وربما ظهر عليه شىء من ذلك فيتأذى به

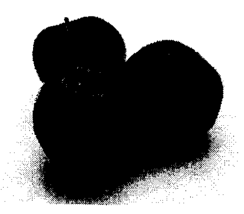
* صيح مسلم بشرح النووى (٧/٢٦٢- ٢٦٣)

الضيف.. وأما فعل الأنصارى وذبحه الشاة فليس مما يشق عليه بل لو ذبح أغناما جمالا وأنفق أموالا فى ضيافة رسول الله ﷺ وصاحبيه رضى الله عنهما كان مسرورا بذلك مغبوطا فيه والله أعلم.

قوله «فلما أن شبعوا ورووا ..» فيه دليل على جواز الشبع وما جاء فى كراهة الشبع فمحمول على المداومة عليه لأنه ينسى القلب ويقسى أمر المحتاجين وأما السؤال عن هذا النعيم فقال القاضى عياض: المراد السؤال عن القيام بحق شكره والذى نعتقده أن السؤال هنا سؤال تعداد النعم وإعلام بالامتنان بها وإظهار الكرامة بإسباغها لا سؤال توبيخ وتقريع ومحاسبة والله أعلم».[١]

هذا وقد وردت روايات كثيرة صحيحة عن كرم الأنصار وجودهم بالخير فقد كانوا فعلا أهل كرم وفضل واستحقوا أن ينزل الله فيهم قرآنا يتلى إلى يوم الدين.

ومن هذا أن رجلا «من الأنصار يقال له: أبو شعيب وكان له غلام لحام فرأى رسول الله فعرف فى وجهه الجوع فقال لغلامه: ويحك اصنع لنا طعاما لخمسة نفر فإنى أريد أن أدعو النبى ﷺ خامس خمسة قال: فصنع ثم اتى النبى ﷺ فدعاه خامس خمسة واتبعهم رجل فلما بلغ الباب قال النبى ﷺ «إن هذا اتبعنا فإن شئت أن تأذن له وإن شئت رجع» قال: لا بل آذن له يا رسول الله».[٢]



(١) صحيح مسلم بشرح النووى (٧/٢٣٨)

(٢) رواه مسلم والبخارى والترمذى والنسائى فى (الكبرى)

من فنون الضيافة
والكرم فى مجتمعاتنا

OOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOO

أولا: بالنسبة للمضيف:

١- دعوة الأتقياء والأبرار دون الفساق والفجار:

ينبغى لصاحب الدعوة أن يحرص على أن يأكل طعامه الأبرار وأن لا يدعو إلى وليمة أو مأدبة الفساق أو الفجار وذلك لأن الأبرار فى حضورهم البركة وفى إطعامهم الخير والثواب الجزيل وعونا لهم على الطاعة وأطعام الفساق عونا لهم على المعصية كما أن الأبرار ليس فى دخولهم البيت من حرج إذ أنهم أمناء على الأسرار فيحفظون سر البيت ولا يسترقون السمع والبصر ولا يتجسسون على أهل البيت.. الخ ومما يؤنس له فى استحباب إطعام الأبرار دون غيرهم قول رسول الله ﷺ لمن قدم له الطعام.

«أكل طعامكم الأبرار».[1] وهذا من دعائه لمن قدم الطعام

وعنه ﷺ أيضا أنه قال **«لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقى»**.[2]

٢- عدم اقتصار دعوة الولائم على الأغنياء فقط:



ينبغى لصاحب الوليمة الا يقصر دعوته على الأغنيـاء دون الفقراء فلا يطعم من هو محتاج ويوغز صدور الفقراء عليه حين يرون الوليمة.. وهى عامة وقد دعى إليها الأغنياء ولم يدعو إليها وهم أشد حاجة للطعام والشراب لذلك قال ﷺ:

«شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء دون الفقراء».[3]

يعنى أن طعام الوليمة التى يدعى إليها الأغنياء دون الفقراء هو شر

(١) رواه أبو داود باسناد صيح (٢) رواه ابوداود والترمذى

(٣) الحديث متفق عليه

طعام وهذا تحذير لمن يهمل دعوة الفقراء فى الولائم.

هذا فى وليمة العرس أما الدعوات الخاصة فلا بأس بأن يدعو الرجل من يشاء إلى طعامه من الأهل والأصدقاء والإخوان.

حيث إن الدعـــوة إلى الطعام مستحبة والنبـــى ﷺ يقول: «خيركم من أطعم الطعام».(١)

٣- المسارعة بتقديم واجب الضيافة:

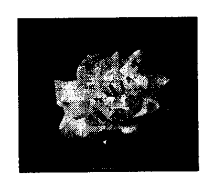


ينبغى للمضيف ألا يتأخر على ضيفه فى تقـديم طعـامـه أو شـرابه له بل يسـارع فى ذلك وانظر إلى قـصـة إبراهيم عليه السلام مع ضـيـفـه التى سبق ذكرها وكيف أنه عليه السلام سارع بتقديم الطعام وأتى به خفية ثم وضعه بين يدى ضيفه حتى إنهم لم يشعروا أنه ذهب لإعداد الطعام وهذا من حسن الضيافة والتلطف بالضيف وعدم إشعاره بطول الانتظار.

كما أنه ومن حسن الضيافة أنك إذا دعوت ضيفك على طعام فيستحب أن تقدم له قبل الطعام فاكهة أو عصيرا أو نحوه حتى يتم تجهيز الطعام ولا تتركه يجلس هكذا ينتظر.

وفى حديث الرجل الأنصارى الذى ذهب إليه الرسول ﷺ وأبو بكر وعمر حين تقابلوا وهم جياع نجد أن ذلك الأنصـــارى قدم لهم ما يشبه اليوم بعض أنواع العصـائر «الكوكتيـل» قبل أن يذبـح لهم ويقـدم لهم الطعـام.. وهذا من كرم وحسن ضيافته.

٤- إظهار السرور والبشر بالمدعويين:



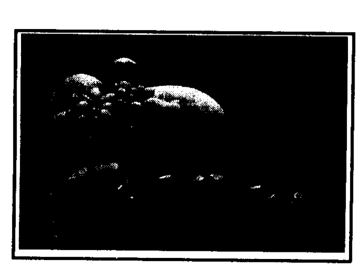
ومن ذلك حسن الترحيب بهم بالكلمات الجميلة والمدح والثناء على الضيف والابتسامة المشرقة فى وجهه

(١) رواه أحمد والحاكم.

وإبلاغه بالسعادة والسرور التى تغمرك لضيافته وتلبيته دعوتك.. الخ.

وفى حديث الرجل الأنصارى الذى ضيف الرسول ﷺ وأبو بكر وعمر رأينا كيف أحسنت زوجته استقبالهم وقالت لهم مرحبا وأهلا والأنصارى لما قدم فوجدهم ضيوفا عنده فرح واستبشر وسر بذلك وقال: الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافا منى.

٥- عدم التكلف للضيف:



ويعنى عدم إحضار ما يثقل كاهل المضيف ويجعله يتأذى من الضيافة وليس معناه تقديم أبسط ما هو موجود للضيف بل قد يقدم لحما ويكون غير متكلف كما ذهب الأنصارى وذبح شاة للرسول ﷺ وصاحبيه ومع ذلك لم يكن متكلفا ذلك لأن الشاة لم تكن لتمثل له تكلفا أو مشقة إذا ذبحها فلديه غيرها ومما يدل على عدم التكلف قول النبى ﷺ لذلك الأنصارى: «إياك والحلوب» يعنى لا تذبح شاة ذات لبن تحلب ويستفاد بلبنها حتى لا تتسبب له الضيافة فى خسارة هذا اللبن والذى يعتبر طعاما يوميا للرجل.

هذا وللسلف الصالح رضوان الله عليهم أقوال فى التكلف للضيف وكراهة هذا التكلف منها ما يروى عن الفضيل أنه كان يقول «إنما تقاطع الناس بالتكلف يدعو أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع إليه»

وقال بعضهم: «ما أبالى بمن أتانى من إخوانى فإنى لا أتكلف له إنما أقرب ما عندى ولو تكلفت له لكرهت مجيأه».

وقال أبو حامد الغزالى «ومن التكلف أن يقدم جميع ما عنده فيجحف بعياله ويؤذى قلوبهم روى أن رجلا دعا عليا رضي الله عنه فقال أجيبك على ثلاث شرائط لا تدخل من السوق شيئا ولا تدخر ما فى البيت ولا تجحف بعيالك».

وكان بعضهم يقدم من كل ما فى البيت فلا يترك نوعا إلا ويحضر شيئا

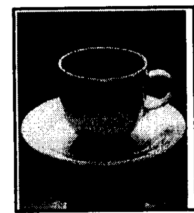
منه وللبخارى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

«نهينا عن التكلف» وقال سلمان: « أمرنا رسول الله ﷺ الا نتكلف للضيف ما ليس عندما وأن نقدم له ما حضرنا.[1]

وعلى الرجل ألا يحتقر شيئا يقدمه للضيف وقد سبق الحديث المتفق عليه «لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة».

حيث إن احتقار ما يمكن أن يقدم للضيف أدعى لأن يتكلف للضيف والتكلف كما قلنا مكروه كما أن احتقاره ما يقدمه سيجعله لا يحب الضيف ويضيق ذرعا بوجوده وهذا ليس من الإسلام فى شىء بل إكرام الضيف من الإيمان كما أن احتقار ما يقدم سيدعو لقطع العلاقات بين الناس أو قلتها لعدم استطاعة الجميع تقديم الأفضل دوما.

٦- أن يقدم للضيف ما يشتهيه:



يعنى يقدم للضيف ما يحبه هذا الضيف وما يشتهيه من أنواع الطعام والشراب المتيسر عنده فلا يقدم له شرابا مثلا أو طعاما معينا وهو يعرف أنه لا يرغب فيه حتى لا يسبب له الحرج.

٧- أن لا يستأذن فى تقديم واجب الضيافة:

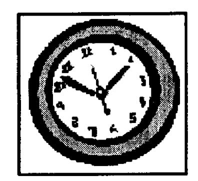
بمعنى أنه إذا أراد مثلا أن يقدم الطعام فلا يقول له: هل تريد طعاما؟! بالطبع قد يحرج الضيف فيقول له لقد أكلت وربما يكون جائعا لكن إذا كان الطعام حاضرا فليقدم له الطعام مباشرة فإن شاء أكل وإن شاء لم يأكل ويحمل الطعام مرة ثانية، يقول الثورى «إذا زارك أخوك فلا تقل له أتاكل أو أقدم إليك ولكن قدم فإن أكل وإلا فارفع لكن يستحب تخيير الضيف فيما يقدم إليه فمثلا يمكنك أن تسأله هل تفضل كذا أم كذا.. كلاهما موجود..

---

(١) إحياء علوم الدين (١١/٢)

OOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOO

٨- عدم إشعاره بأنه قد أطال القعود:



ينبغى ألا يشعر الضيف من صاحب المنزل أنه استكثر قعوده عنده أو استثقل ضيافته بل الواجب إشعاره بعكس ذلك وفى السنة أن الضيافة ثلاثة أيام.

عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «الضيافة ثلاث فما بعدهن فهو صدقة».

وعن أبى شريح العدوى انه قال: «سمعت أذناى وأبصرت عيناى حين تكلم رسول الله ﷺ فقال:

«من كان يؤمن بالله وإليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته قالوا: وما جائزته يارسول الله؟ قال: يومه وليلته والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه...».[1]

قال الإمام النووى فى شرح هذا الحديث ومثله:

«هذه الأحاديث متظاهرة على الأمر بالضيافة والاهتمام بها وعظيم موقعها وقد أجمع المسلمون على الضيافة وأنها من متاكدات الإسلام ثم قال الشافعى ومالك وأبو حنيفة- رحمه الله- والجمهور هى سنة ليست بواجبة وقال الليث وأحمد: هى واجبة يوما وليلة وقال أحمد: «هى واجبة يوما وليلة على أهل البادية وأهل القرى دون أهل المدن وتأول الجمهور هذه الأحاديث وأشباهها على الاستحباب ومكارم الأخلاق وتأكد حق الضيف كحديث «غسل الجمعة واجب على كل محتلم» أى متأكد الاستحباب وتأولها الخطابى.. رَحِمَهُ اللَّهُ. وغيره على المضطر والله أعلم.

وقوله ﷺ «فليكرم ضيفه جائزته يوما وليلة والضيافة ثلاثة أيام» قال العلماء معناه الاهتمام به فى إليوم والليلة وإتحافه بما يمكن من بر وإلطاف

(١) الحديث رواه البخارى ومسلم واللفظ له

أما فى إليوم الثانى والثالث فيطعمه ما تيسر ولا يزيد على عادته أما ما كان بعد الثلاثة فهو صدقة ومعروف إن شاء فعل وإن شاء ترك ».[1]

فمن كانت ظروفه تسمح باستضافة الضيف يوما وليلة فعل ومن كانت ظروفه لا تسمح بذلك فليكرم بالطعام والشراب دون المبيت وليعلم أن إكرام الضيف وحسن ضيافته من الإيمان فلا يستثقل ضيفه.

٩- عدم استضافة أحد معه لا يرتاح إليه:

ليس من أدب الضيافة أن يدعو صاحب المنزل مثلا رجلا إلى طعام ثم يدعو معه على نفس المائدة رجلا آخر لا يحبه. وهو يعلم ذلك، لما فى ذلك من حرج لذلك الضيف.

إلا أن يجمع اثنين متخاصمين يصلح بينهما، فهذا خير، أما أن يجمع من لا يرتاح بعضهم لبعض، أو من لا يحب أن يطعم مع آخر لسبب ما فهذا فيه حرج ومشقة للضيف ولا ينبغى الإقدام عليه.

كما ينبغى عدم استخدام الضيف فى شىء، مثل أن يطلب منه صاحب المنزل مساعدته فى أمر معين، فإنه ليس من مروءة الرجل أن يستخدم ضيفه. وهذا أيضا يتسبب للضيف فى الحرج والمشقة.

ومن الأمور التى تتسبب للضيف فى الحرج أيضا أن يذكر صاحب المنزل أمامه أن الدنيا قد تعقدت، وأن المعيشة أصبحت صعبة ويتحدث عن غلاء المعيشة وضيق الحال ونحو ذلك.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى (٦/٢٧٣)

OOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOO

١٠ـ عدم إزعاج الضيف بالأطفال الصغار:

الأطفال الصغار لهم حماقات كثيرة، ونحن نحب أطفالنا، وقد نتركهم يعبثون بالبيت، وقد يؤذوننا بعض الأذية الخفيفة ونتحملهم، لكن الضيف يجب احترامه، والاحتراس من أذية الأولاد له، أو عبثهم بملابسه مثلا، أو بعض حاجاته التى يحملها.. فقد يتسببون فى إلحاق الضرر به، كما أنه ليس كل الناس على درجة واحدة من الصبر على الصغار وعلى لعبهم، و قد يتحمل المرء لعب أولاده و«شقاوتهم» لكنه قد لا يتحمل لعب غيرهم.

ثانيا: «بالنسبة للضيف»:

١ـ الاستئذان وتحديد موعد مسبق:

ينبغى على الزائر أن يستأذن قبل زيارته، وإن كان مدعوا لموعد محدد فعليه أن يذهب فى نفس الموعد، لا يتقدم عليه. ولا يتأخر. وإن لم يكن مدعوا، فإن عليه أن يحدد الموعد مسبقا، حتى لا يفاجأ من يزوره بالزيارة فى وقت قد يكون غير مناسب بالنسبة له، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.[(١)]

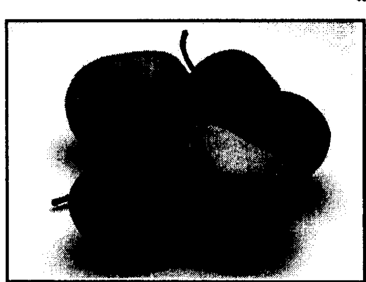
ويقول الحافظ ابن كثير فى تفسير هذه الآية وما بعدها: «هذه آداب شرعية أدب الله بها عباده المؤمنين، أمرهم الا يدخلوا بيوتا غير بيوتهم حتى «يستأنسوا» أى يستأذنوا قبل الدخول، ويسلموا بعده.

وينبغى أن يستأذن ثلاث مرات، فإن أذن له وإلا انصرف كما ثبت فى الصحيح أن أبا موسى حين استأذن على عمر ثلاث مرات، فلم يؤذن له انصرف. ثم قال عمر: ألم نسمع قول عبدالله بن قيس يستأذن؟! ائذنوا له، فطلبوه فوجدوه قد ذهب، فلما جاء بعد ذلك قال: ما أرجعك؟ قال: إنى استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لى، وإنى سمعت النبى ﷺ يقول: «إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له، فلينصرف».

(١) سورة النور الآية رقم (٢٧)

والآن وقد أصبح الاستئذان أيسر عن طريق «التليفون» فيجب الاستئذان أولا عن طريقه لعدم إحراج المضيف، ولضمان وجوده وعدم شغله.

٢ ـ أن لا يطلب غير ما يقدم إليه:



فقد يطلب الزائر شيئا لا يكون فى استطاعة المضيف، فكيف يحضره له؟! إن ذلك يسبب له الكثير من الحرج.

يقول أبو حامد الغزالى: «للزائر ألا يقترح ولا يتحكم بشىء بعينه، فربما يشق على المزور إحضاره، فإن خيره أخوه بين طعامين فليتخير أيسرهما عليه، كذلك السنة: «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما».[1] وروى الأعمش عن أبى وائل أنه قال: مضيت مع صاحب لى نزور سلمان، فقدم إلينا خبز شعير وملحا جريشا، فقال صاحبى: لو كان على هذا الملح زعترا كان أطيب، فخرج سلمان فرهن مطهرته وأخذ سعترا، فلما أكلنا، قال صاحبى: الحمد لله الذى قنعنا بما رزقنا، فقال سلمان: لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتى مرهونة.

هذا إذا توهم تعذر ذلك على أخيه أو كراهته له، فإن علم أنه يسر باقتراحه ويتيسر عليه ذلك، فلا يكره له الاقتراح.

فعل ذلك الشافعى مع الزعفرانى إذا كان نازلا عنده ببغداد، وكان الزعفرانى يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الألوان، ويسلمها إلى الجارية.

فأخذ الشافعى الرقعة فى يوم من الأيام. وألحق بها لونا آخر بخطه.

فلما رأى الزعفرانى ذلك اللون أنكره، وقال: ما أمرت بهذا، فعرضت عليه الرقعة ملحقا فيها خط الشافعى، فلما وقعت عينه على خطه فرح بذلك، وأعتق الجارية سرورا باقتراح الشافعى عليه.

---

(١) الحديث متفق عليه

وقال بعضهم الأكل على ثلاثة أنواع: مع الفقراء بالإيثار، ومع الإخوان بالانبساط، ومع أبناء الدنيا بالأدب.

٣- أن يلبى الدعوة إذا دعى لوليمة أو لطعام:

الوليمة هى طعام العرس، وفى الحديث الصحيح: «إذا دعى أحدكم إلى الوليمة فليجب».[١]

فحضور الوليمة عند الدعوة إليها أمر واجب عند الجمهور، ما لم يوجد مانع من الموانع والتى سنذكرها لاحقا.

وليس مطلوب من المسلم تلبية الدعوة إلى الوليمة فحسب، بل يستحب له إجابة دعوة أخيه المسلم فى أى مناسبة يدعوه فيها، فإن كان صائما فليعتذر وليدعو لصاحب الدعوة.

قال ﷺ: «إذا دعى أحدكم فليجب، فإن كان صائما فليصل[٢]، وإن كان مفطرا فليطعم».[٣]

قال الإمام النووى فى شرح أحاديث الباب: «قوله «إذا دعى أحدكم إلى الوليمة فليأتها» فيه الامر بحضورها، ولا خلاف فى أنه مأمور به. ولكن هل هو أمر إيجاب أو ندب؟ فيه خلاف الأصح فى مذهبنا أنه فرض عين على كل من دعى.

لكن يسقط بأعذار سنذكرها إن شاء الله. والثانى: أنه فرض كفاية. والثالث: مندوب. هذا مذهبنا فى وليمة العرس. أما غيرها ففيه وجهان لأصحابنا:

أحدهما: أنها كوليمة العرس. والثانى: أن الإجابة إليها ندب وإن كانت فى العرس واجبة.

ونقل القاضى اتفاق العلماء على وجوب الإجابة فى وليمة العرس، قال:

---

(١) الحديث رواه البخارى ومسلم واللفظ له

(٢) والصلاة فى اللغة الدعاء (٣) رواه مسلم

واختلفوا فيما سواها فقال مالك والجمهور: لا تجب الإجابة إليها. وقال أهل الظاهر: تجب إلى كل دعوة من عرس وغيره. وبه قال بعض السلف.

وأما الأعذار التى يسقط بها وجوب إجابة الدعوة أو ندبها فمنها: أن يكون فى الطعام شبهة، أو يخص به الأغنياء، أو يكون هناك من يتأذى بحضوره معه. أو لا تليق به مجالسته، أو يدعوه لخوف شره أو لطمع فى جاهه أو ليعاونه على باطل، وأن لا يكون هناك منكر من خمر أو لهو أو فرش حرير أو صورة حيوان غير مفروشة أو آنية ذهب أو فضة، فكل هذه أعذار فى ترك الإجابة...».(1)

٤ - أن لا يجب دعوة الغنى دون الفقير:

ففى إجابة دعوة الغنى وترك دعوة الفقير تكبر على الفقير، وهذا التكبر منهى عنه شرعا، وهو خلاف السنة، فلقد كان النبى ﷺ يجيب دعوة العبد، ودعوة المسكين.

كما أنه منهى عن حضوره دعوة من يدعو غيره مباهاة أو تفاخرا أو نحو ذلك، «ورسول الله ﷺ كان يحضر لعلمه أن الداعى له يتقلد منه، ويرى ذلك شرفا وذخرا لنفسه فى الدنيا والآخرة.

فهذا يختلف باختلاف الحال، فمن ظن أنه يستثقل الإطعام، وإنما يفعل ذلك مباهاة أو تكلفا فليس من السنة إجابته..».(2)

فأنت تحضر طعام من يحب أن يضيفك، ويشعر بالسعادة والسرور من استضافته لك. ولا يقصد من وراء إطعامك المنة عليك أو التفاخر والتباهى بين الناس بالطعام المقدم أو بإطعام فلان أو فلان.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى (٥/٢٥٣)

(٢) إحياء علوم الدين (٢/١٣)

٥ - أن يحترم خصوصيات بيت المضيف:

ومن ذلك ان لا تمتد عينه ولا يده إلى ما ليس له، وما لا يقدم له، فمثلا لو وجد ورقة موضوعة - على المكتب أو كتابا أو ما شابه ذلك لا يمد إليه يده ليقرأه. فقد يكون فيها ما لا يحب المضيف أن يراه غيره. أو سرا من الأسرار، وهذا يعتبر نوعا من التجسس المنهى عنه شرعا، قال تعالى: «ولا تجسسوا».[1]

كما لا ينبغى أن تمتد عينه ليرى ما لا ينبغى له، أو يتلصص على أهل البيت، إذ ليس ذلك بخلق المسلم، كذلك لو سمع شيئا مصادفة قد يكون سرا من أسرار البيت، لا ينبغى عليه أن يفشيه، بل يكتمه.

إذ أن ذلك من الأمانات التى أمرنا الله تعالى بحفظها وعدم تضييعها، يقول رسول الله ﷺ: «إذا تحدث إليك اخوك بحديث ثم التفت فهى أمانة».[2]

يعنى التفت ليعرف أن أحدا لا يراه، فما بالك بما يحدث فى المنزل. وعليه أن لا يحكى لأحد ما يحدث من تعاملات أمامه قد تحدث عفوية بين الأب والأولاد أو بين الأب والأم أو خلافه من المعاملات.

فكل ذلك يعتبر من الأسرار المنزلية التى ينبغى أن لا يطلع عليها أحد، ومن ذلك أيضا أن لا يتحرك من المكان الذى يجلسه فيه صاحب الدار إلا بإذنه، أو أن يحركه صاحب الدار.

وأن يجلس عند دخوله فى مكان لا يسمح له برؤية ما بداخل الدار، وأن لا يقلب نظره هنا وهناك فى البيت. لأن ذلك يؤذى صاحب الدار.

ومن ذلك أيضا أن لا يتدخل فى نظام البيت بالتعديل أو إعادة ترتيب بعض الأشياء أو نحو ذلك، إذ أن ذلك تدخل فيما لا يعنيه، وهو منهى عنه شرعا.

---

(١) سورة الحجرات الآية (١٢)

(٢) رواه الترمذى وابو داود بلفظ (إذا حدث الرجل بالحديث ثم التفت فهى أمانة) كما رواه أحمد بلفظ قريب

يقول ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».[1]

إلا إذا طلب منه المضيف إبداء رأيه فى بعض تلك الأمور. فإن لم يطلب إليه ذلك، فلا يبدى رأيه فى شىء إذ أن ذلك قد يضايق المضيف ويسبب له الحرج.

كذلك يجب على الضيف ألا يعلق على مواصفات السكن التى قد تضايق المضيف، مثل قول البعض مثلا «إن هذه الشقة شديدة الحرارة، كيف تتحمل القعود فيها صيفا..» أو نحو ذلك من الملاحظات التى قد تحزن المضيف، إذ أنه لو استطاع أن يحصل على سكن أفضل لفعل، فأنت تزيد همه، أو تذكره بشىء قد يكون نسيه أو تعود عليه، فتزيد أحماله وأثقاله، وهذا ليس من حسن الأدب، ولا من محاسن الأخلاق، كذلك لا ينبغى عليك أن تعدل عليه فى طريقة تربية ولده، أو تعامله مع امرأته، إلا أن يكون هناك خطأ شرعى يرتكب، فينبغى النهى عنه بأفضل الطرق، وأحسن الوسائل، بما لا يحرج المضيف، ولا يزيد المشكلة تفاقما، بل بما يهدىء النفوس، ويصفى القلوب، وينقيها من الضغائن ومن وساوس الشيطان.

وإذا أراد أن ينصح فليتخير الوقت المناسب والأسلوب الأحسن وأن يجعل نصحيته سرا، بينه وبين صاحب الخطأ المطلوب نصحه.

٦- عدم الإطالة والقعود فوق الحاجة:

وينبغى على الضيف ألا يطيل القعود عند مضيفه إلا حسب الحاجة، فإن قضى حاجته فلا يطيل بعدها القعود، إذ أنه بذلك قد يتسبب للمضيف فى ضياع مصلحة له، لاضطراره للقعود معه، إلا إذا طلب منه صاحب المنزل القعود، وشعر بأنه يرتاح لقعوده، وأنه لا يسبب له تعطيلا عن مصلحة، أو نحو ذلك. كذلك ينبغى عليه عند قعوده بانتظار الطعام ألا يطيل النظر للمكان الذى يخرج منه الطعام (المطبخ) مثلا، فإن ذلك يدل على الشره كما قال صاحب الإحياء، وهو ليس بخلق المسلم.

---

(١) رواه الترمذى

OOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOOO

٧- أن يقصد بزيارته أو تلبيته دعوة صاحبه وجه الله تعالى:

فإذا كانت زيارة من غير دعوة، فليأخذ النية وليجعلها خالصة لوجه الله تعالى، فإن التزاور فى الله، والحب فى الله له أفضل الأجر وعظيم الثواب، وهو قربة من القربات إلى الله تعالى.

يقول ﷺ: «إن الله يوم القيامة يقول: **أين المتحابون بجلالى، اليوم أظلهم فى ظلى، يوم لا ظل إلا ظلى**».[1]

ويقول أيضا:

يقول الله تعالى: «**المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم الأنبياء والشهداء**».[2]

وإن كان مدعوا إلى وليمة أو مأدبة أو نحو ذلك فإن عليه أن ينوى إجابة الدعوة استجابة لحديث رسول الله ﷺ السالف الذكر فى معرض الحديث عن إجابة الدعوة ويعتبر نفسه أنه ينفذ السنة أو الواجب المأمور به. وهو إجابة الدعوة إلا إذا اشتملت على معصية أو محرما.

وليتذكر أن عدم استصحاب النية قد يجعل العمل لا قيمة له فى الآخرة ولا يأخذ عليه ثوابا، أما استصحاب النية قبل الزيردة أو تلبية الدعوة فيجعل صاحبه مأجورا مثابا عند الله تعالى:

وذلك لحديث رسول الله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**».[3]

٨- أن لا يحتقر ما يقدم له:

إذ أنه ليس من كرم الأخلاق ان يحتقر المدعو ما يقدم له مهما يكن، إذ أنه يجب عليه أن يراعى حال المضيف، ولا يكلفه ما لا يطيق، ولا يسبب له

---

(١) رواه مسلم (٢) رواه الترمذى وقال: هذا حديث حسن صحيح

(٣) رواه البخارى ومسلم

الحزن إن علم أنه يحتقر طعامه وما يقدمه له.

ولقد نهى النبى ﷺ عن مثل هذا الخلق، واستحب عكسه حين قال ﷺ: «لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت، ولو أهدى إلى ذراع أو كراع لقبلت».(١)

وقال: «إذا دعيتم إلى كراع فأجيبوا».(٢)

قال النووى: «والمراد به عند جماهير المسلمين كراع الشاة، وغلط من حمله على كراع الغميم وهو موضع بين مكة والمدينة على مراحل من المدينة».(٣)

فإجابة الدعوة واجبة أو مندوبة مهما يكن المقدم فيها، فلا يحتقرن أحد ما يقدم له.

٩- أن لا يصطحب معه أحداً إلا أن يأذن له المضيف:

فمن دعى فليجب وحده، ولا ينبغى له أن يصطحب معه أحدا من الناس، وإن تبعه أحد فينبغى عليه أن يستأذن أولا صاحب الدار فى دخوله، فإن أذن له وإلا فلا.

عن ابن مسعود قال: كان رجل من الأنصار يقال له أبوشعيب، وكان له غلام لحام. فقال: اصنع لى طعاما، أدعو رسول الله ﷺ خامس خمسة، فدعا رسول الله ﷺ خامس خمسة، فتبعهم رجل، فقال النبى ﷺ: «إنك دعوتنا خامس خمسة، وهذا رجل قد تبعنا فإن شئت اذنت له، وإن شئت تركته».

قال: بل أذنت له.(٤)

كذلك لا ينبغى للضيف أن يصطحب معه أطفالا إن كان المضيف لا يعلم بهذا، يعنى قد أضافه وحده من غير أهله، إذ وجود الأطفال قد يسبب له الحرج، فى حين أنه لم يكن على استعداد لذلك.

---

(١) رواه البخارى

(٢) رواه مسلم

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى (٥/٢٥٣)

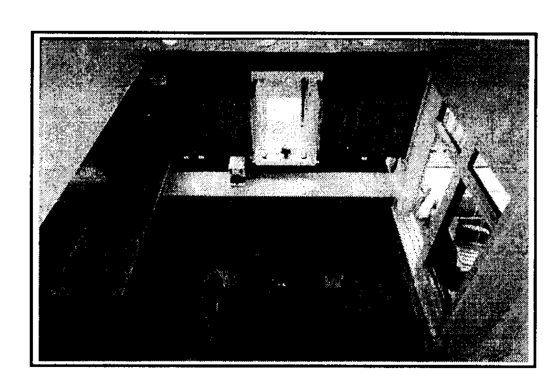
(٤) سبق تخريجه

١٠ـ الدعاء لمقدم الطعام وصاحب الدعوة:

ومن دعاء الرسول ﷺ المشهور فى هذا المقام:

«اللهم أطعم من أطعمنى، وأسق من سقانى».

وقد سبق ذكره، كذلك دعاء النبى ﷺ لسعد بعد أن أكل عنده بقوله عليه الصلاة والسلام: **«أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة».**[1]



(١) رواه أبوداود وابن ماجه وأحمد وابن حبان والنسائى فى (الكبرى) والبيهقى فى (الكبرى) وفى (الشعب) والطبرانى فى (الأوسط)

الهدية طريق إلى القلب

لقد حث الإسلام على الهدية والتهادى بين الناس، وذلك لأن الهدية هى أقصر طريق لكسب قلب الإنسان، فهى باعث على الحب، وهى أيضا مخرجة للضغائن والأحقاد من القلب.

ولهذا يقول رسول الله ﷺ: «تهادوا تحابوا».[1]

وكان أنس رضي الله عنه يقول لأولاده: «يا بنى تباذلوا بينكم فإنه أود لما بينكم».[2]

وعنه أيضا أن رسول الله ﷺ كان يأمر بالهدية صلة بين الناس».[3]

وعن معاذ بن جبل عن النبى ﷺ قال: «من أطعم مؤمنا حتى يشبعه ادخله لله من باب من ابواب الجنة لا يدخله إلا من كان مثله، قال: ومن وجوه المقاربة بين الناس والمواصلة المهاداة.[4]

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «تهادوا، فإن الهدية تذهب وحر الصدر، ولا تحقرن جارة لجارتها ولو كفرسن شاة».[5]

وعن على رضي الله عنه قال: «تهادوا تحابوا، ولا تماروا[6] فتباغضوا».[7]

---

(١) رواه البخارى فى الادب المفرد والترمذى والبيهقى فى الشعب وغيرهم

(٢) رواه البخارى فى الأدب المفرد

(٣) ، (٤) رواه البيهقى فى الشعب

(٥) «البر والصلة» للمروزى المتوفى سنة ٢٤٦ هـ تحقيق د. محمد سعيد بخارى- ط دار الوطن- الرياض ١٤١٩هـ

(٦) المماراة: المجادلة

(٧) «مكارم الاخلاق» لابن ابى الدنيا المتوفى سنة ٢٨١ هـ تحقيق مجدى السيد إبراهيم- مكتبة القرآن- القاهرة ١٤١١هـ



المكافأة على الهدية

وكما حث الإسلام على التهادى بين الناس جلبا للحب ودفعا للبغض والتشاحن، وذهابا لما فى النفوس من بغضاء، كذلك حث على قبول الهدية، وعلى الإثابة والمكافأة عليها.

● عن عبدالله عن النبى ﷺ قال: «**أجيبوا الداعى، ولا تردوا الهدية، ولا تضربوا المسلمين**».[1]

● عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يردن الرجل هدية أخيه، فإن وجد فليكافئ، فوالذى نفسى بيده لو أهدى إلى ذراع لقبلته، ولو دعيت إلى كراع لأجبت**».[2]

● عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت: «**كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها**».[3]

● وعن موسى بن عبدالله بن رباح قال: سمعت أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الهدية رزق من الله فمن أهدى له شىء فليقبله، وليعط خيرا**».[4]

● عن ابن شهاب أن أم سلمة زوج النبى ﷺ قالت: إنى لأهدى الهدية على ثلاث: «مكافأة، فإنا لا نحب ان يفضلنا أحد، ومن أهدى بقدر ما يجد فقد كافأ[5]، وهدية أريد بها وجه الله عز وجل لا أريد بها جزاء ولا شكورا، وهدية أريد بها اتقاء، فإنى لا أحب أن يقال فى إلا خيرا».[6]

---

(١) البخارى فى الأدب المفرد (١٥٧) والبيهقى فى شعب الإيمان (٥٣٥٩)

(٢) كتاب «البر والصلة» للمروزى (٣) رواه البخارى

(٤) «مكارم الاخلاق» لابن ابى الدنيا

(٥) يعنى لا يشترط رد نفس قيمة الهدية (٦) «مكارم الاخلاق» لابن ابى الدنيا

● وعن مـجـاهـد قـال: «كـان شـريح إذا أهديت له هدية لم يـرد الطبـق إلا وعليه شيء».[1]

● عن يونس بن عبيد قال: كان زياد الأعلم يهدى إلى ثابت البنانى وإلى يزيد القرشي، وإلى يزيد الضبى، قال: فيهـدى إلى قوم محتاجين لا يقدرون على مكافأته، فلما ظهر الحسـن جعـل يهـدى له، ويهدى له، فقال زياد الأعلم: أتعبنا الشيخ».[2]

● قال العلامة المحقق شمس الدين ابن القيم: «والأمة مجمعة.. على جواز أكل الهدية وإن كانت من فاسق أو كانت من صبى، ومن نازع فى ذلك لم يمكنه العمل بخلافه، وإن قاله بلسانه».[3]

وأصل المكافأة على الهدية دوام المحبة، والتواصل بين الناس إذ ذاك هدف نبيل، وغاية عظمى، ورسالة مهمة للمجتمع المسلم، لأنها سبب فى زيادة القرب والمودة بن الناس.

لكن إن وصلت لحد المشقة، والتكلف فهى مكروهة، فرد الهدية والمكافأة عليها لا يعنى أبدا التكلف فى هذا الرد وتحميل النفس فوق طاقتها، إذ ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾.[4]

ولكن ليرد كل ما تيسر له، وليس فى ذلك إحراج ولا حرج.

---

(١)، (٢) «مكارم الأخلاق» لابن أبى الدنيا

(٣) بدائع الفوائد (٤/٨٢٠) للعلامة ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ - طبعة مكتبة نزار مصطفى الباز- مكة المكرمة- ١٤١٩هـ - تقيق: هشام عبدالعزيز- عطا عادل عبدالحميد العدوى- أشرف أحمد

(٤) سورة البقرة الآية رقم (٢٨٦)



لا تحتقر الهدية مهما تكن

الهدية ليست في قيمتها المادية، وإنما في معناها، وما تهدف إليه، فحينما يهدي إليك شخص ما هدية، فإنه يقول لك: إني أحبك في الله، والهدية إن كانت لغرض غير هذا فلا تسمى هدية.

ولهذا كانت الهدية مطلوبة ومرغوبة بغض النظر عن قيمتها المادية.

والذى ينظر للهدية من وجهة المادة فحسب، فهو لا يعنى بالمعنى بقدر ما يعنى بالمادة، وهو لا يحب من قدم الهدية، إنما يحب ماله ومتاعه فحسب، ولذلك فقد حذر الإسلام أتباعه من المؤمنين والمؤمنات بتقديم الهدية وقبولها على أية حال، مهما تكن، صغيرة أم كبيرة، عظيمة أم حقيرة.

* عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«يا نساء المسلمات! لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن[1] شاة».[2]

يقول شارح مسلم فى تعليقه على هذا الحديث:

«قوله ﷺ: «لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة» قال أهل اللغة: هو بكسر الفاءوالسين وهو الظلف.

قالوا وأصله فى الإبل، وهو فيها مثل القدم فى الإنسان، ويطلق على الغنم استعارة، وهذا النهى عن الاحتقار نهى للمعطية الهدية، ومعناه، لا تمتنع جارة من الصدقة، والهدية لجارتها لاستقلالها واحتقارها الموجود عندها، بل تجود بما تيسر وإن كانت قليلا كفرسن شاة، وهو خير من العدم، وقد قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾.[3]

---

(١) فرسن: يعنى قدم (٢) الحديث رواه البخارى ومسلم

(٣) سورة الزلزلة الآية رقم (٧)

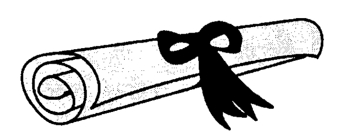
وقال النبى ﷺ: «واتقوا النار ولو بشق تمرة».[1]

قال القاضى: هذا التأويل[2] هو الظاهر، وهو تأويل مالك لإدخاله هذا الحديث فى باب الترغيب فى الصدقة. قال: ويحتمل أن يكون نهيا للمعطاة عن الاحتقار...».[3]

والحقيقة أن الحديث يحتمل الوجهين، فيحتمل نهى المعطية المهدية عن احتقار الهدية، ويحتمل نهى المهداة إليها أيضا عن احتقار ما يهدى إليها.

وقد عشنا زمنا كان النساء فيه فى البيوت حين تصنع الواحدة منهن طعاما تهدى منه لجارتها، خصوصا بعض الأنواع من الحلوى، وما شابه ذلك، وكان هذا يقوى الروابط الاجتماعية بين الأسر. ويزيد الحب بين الناس، ولاتزال هذه العادة - رغم ندرتها - موجودة فى بعض المجتمعات الريفية، ويا ليتها تحيا وتعود للمجتمع حتى تعود للحياة بهجتها بعيدا عن طغيان المادة والمصلحة.

وهذه دعوة من سيد الخلق والمرسلين سيدنا محمد ﷺ لتبادل الهدايا بين الجيران مهما يكن شأن هذه الهدايا.



(١) رواه البخارى ومسلم

(٢) التأويل: يعنى التفسير

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى (٤/١٢٩-١٣٠) للعلامة يحيى بن شرف الدين النووى المتوفى سنة ٦٧٦هـ

الهدية بين المخطوبين والهـــدية بين الأزواج

بما أن الخطبة شرعت لزيادة المحبة كمقدمة للزواج، حيث قال ﷺ لمن جاءه يخبره بخطوبته من امرأة: «هل نظرت إليها؟، قال: لا، قال: «اذهب فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما».[1]

فكان هذا هدف من أهداف الخطبة، وبما أن الهدية تزيد الحب بين الطرفين كما أخبر بذلك سيد الخلق محمد ﷺ فى قوله «تهادوا تحابوا».[2]

إذن فقد أصبحت الهدية فى الخطبة من الأمور المستحبة، والتى يكون لها الأثر البالغ فى زيادة الحب بين المخطوبين.

ومما يجب التنبيه إليه هنا أن تكون الهدية بين الخطاب غير مبالغ فيها، فتكون حسب استطاعة الخاطب، حيث إنه على أعتاب الزواج، وأمامه مسئوليات جسام، فلا يسرف فى الهدايا على حساب ما يحتاجه لبناء «عش الزوجية» بل عليه أن يوازن بين هذا وذاك، كذلك يجب على «المخطوبة» أن لا تستحقر ما يقدمه لها خطيبها من الهدايا، ولا تظهر له إلا البهجة.

والسرور بهذه الهدايا، كذلك ينبغى على الخاطب أن تكون هداياه لخطيبته شيئا ينفعها قدر المستطاع، ولا تكون من الهدايا التى لا تنفع ولا تضر!

ولا تكون من الهدايا التى مكلف بها الخاطب ان يشتريها كبعض الأثاث فى المنزل ونحوه، فإن هذه لا تسمى هدايا، كما ينبغى على أهل المخطوبة إلا يثقلوا على الخاطب فى موضوع الهدايا، ولا يغضبوا إن لم يهدها فى وقت

---

(١) رواه الترمذى وحسنه الحاكم وصححه على شرط الشيخين كما رواه ابن ماجه والنسائى وأحمد

(٢) سبق تخريجه

معين، أو فى بعض المناسبات التى يسمونها عند البعض «مواسم» فإن الأصل فى الهدايا التيسير لا التعسير، كذلك الأصل فى المهر التيسير لا التعسير، فكيف نيسر فى المهر ونعسر فى الهدايا ونحوها؟!

كما ينبغى على «المخطوبة» ألا تتصرف فى بعض الهدايا الثمينة، والتى قد يعتبرها الخاطب جزءا من المهر. ينبغى عليها ألا تتصرف فيها إلا بإذنه، فإن لم يأذن فلا.

كما ينبغى أن يهادى الخاطب خطيبته بما تحب وتهادى المخطوبة خطيبها بما يحب من الهدايا، فليس معقولا أن أهادى شخصا بهدية هو لا يحبها، إذ هدف الهدية الحب، فكيف أهاديه بما لا يحب؟!

وهذا يدعو كل منهما لأن يتعرف على ميول الآخر ورغباته، وما يحب وما يكره من الأشياء، بل ويحترم كل منهما الآخر فيما يحب وما يكره ولا يسفه شيئا من آرائه بخصوص هذه الأشياء.

ومن نافلة القول الحديث عن فن تقديم الهدية فى أحسن صورة، واختيار أفضل الأوقات لتقديمها، والمناسبات السارة والسعيدة للطرف المقدم له الهدية.

كذلك اختيار أنسب الكلمات، وأرقها، وأعذبها عند تقديم الهدية، وبيان أن هذه هدية بسيطة لشخص عزيز، وأنها مجرد تعبير عن الحب، لكنها لا تكافؤه، لعلو مقداره عند الطرف الآخر.

كما ينبغى ألا ينسى الأزواج بعضهم البعض من الهدايا، إذ أنه ومع مرور الأيام قد ينسى كل من الزوجين المناسبات السارة لكل منهما، أو قد يقلل من شأنها، وهذا قد يجعل الحب يفتر بين الزوجين.

مع أن هدية بسيطة يقدمها الزوج لزوجته تدخل عليها السرور، ولا ينسى الرجل كم للوردة من التأثير فى نفس الزوجة، فمجرد أن يشترى لها «وردة» هدية يقدمها لها فى مناسبة أو بغير مناسبة، هذه الوردة تجعلها تشعر

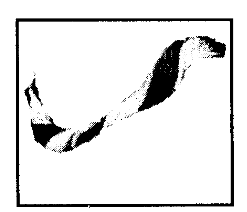
بالسعادة، وبالحب والتقدير، وقد تزيل مثل هذه الهدية بعض الخلافات الزوجية، والتى تحدث بطريقة عفوية بين الزوجين.

إن الزواج كالكائن الحى يحتاج إلى الارتواء بين لحظة وأخرى وقد تفتر العلاقات الزوجية وتمر بمراحل ملل ومما يحييها ويوقظ فيها جذوة الحب الهدايا بين الزوجين.

وقد لا تكون الهدية بين الزوجين شيئا ماديا، فإن يوما من القعود فى المنزل مع الزوجة والأولاد بعد فترة من الغياب والشغل قد يعتبر هدية تعتز بها الزوجة، ويحبها الأولاد.

كذلك الخروج للتنزه فى مكان عام أو حديقة أو نحو ذلك هو هدية قيمة يمكن للزوج أن يقدمها لزوجته، فتسر وتفرح بها.

كذلك مساعدتها فى أعمال المنزل بين الحين والآخر، والوقوف بجانبها عند التعب، وعدم تجاهل طلباتها، وتوفير وسائل الراحة لها فى البيت، كل ذلك نوع من الهدايا الكبيرة التى قد يقصر فيها بعض الأزواج أو لا يلتفتون إليها مطلقا. إذ أن الهدية مع إهمال تلك الأمور تصبح لا قيمة لها.





متى لا تقبل الهدية

الهدية لا تقبل إن كان الهدف من ورائها الحصول على حق من حقوق الغير، أو فعل محظور شرعا، أو كانت الهدية فى حد ذاتها محظورة شرعا، فمن أهدى مثلا خمرا فلا يجوز أن يقبله.

ومن أهدى هدية وهو فى موقع المسئولية فالهدية هنا لها هدف وغاية غير المحبة بين المسلمين، وغايتها المصلحة والحصول على شىء قد لا يستحقه صاحبه أو من يسعى إليه.

ومنذ فجر الدعوة الإسلامية وقف المصطفى ﷺ خطيبا فى الناس، محذرا إياهم من تلويث الهدية بالرشوة، وجعلهما شيئا واحدا.

فمن جاءته هدية لمسئوليته ومنصبه فهى رشوة وليست هدية، وهى محرمة، بل هى قطعة من نار جهنم يكتوى بها على ظهره يوم القيامة ويفتضح امره بين الخلائق.

عن أبى حميد الساعدى رضي الله عنه قال: «استحمل رسول الله ﷺ رجلا من الأزد، يقال له «ابن اللتبية»* على الصدقة[1] فلما قدم قال: هذا لكم، وهذا أهدى إلى.

قال: فقام رسول الله ﷺ على المنبر فحمد الله واثنى عليه وقال: «ما بال العامل ابعثه فيقول: «هذا لكم، وهذا أهدى التى! أفلا قعد فى بيت ابيه أو فى بيت امه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا، والذى نفس محمد بيده!

---

* ابن اللتبية: واسمه عبدالله، وهو منسوب لبنى لتب، قبيلة معروفة

(١) يعنى على جمع الزكاة

لا ينال أحد منكم شيئا إلا جاء به يوم القيام يحمله على عنقه، بعير له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر[1] ثم رفع حتى رأينا عفرتى[2] إبطيه.

ثم قال: «اللهم! هل بلغت، مرتين».[3]

قال العلامة المحقق ابن القيم: «قال ابن عقيل: الأموال التى يأخذها القضاء أربعة أقسام رشوة وهدية وأجرة ورزق، الرشوة حرام وهى ضربان: «رشوة ليميل إلى أحدهما بغير حق، فهذه حرام عن فعل حرام على الآخذ والمعطى، وهما آثمان، ورشوة يعطاها ليحكم بالحق واستيفاء حق المعطى من دين ونحوه، فهى حرام على الحاكم دون المعطى.

لأنها للاستقادة، فهى كجعل الآبق وأجرة الوكلاء فى الخصومة، وأما الهدية فضربان: هدية كانت قبل الولاية فلا تحرم استدامتها، وهدية لم تكن الا بعد الولاية وهى ضربان: مكروهة وهى ممن لا حكومة له «يعنى لا حكم له عنده ينتظر البت فيه»، وهدية ممن اتجهت له حكومة فهى حرام، على الحاكم والمهدى».[4]

فالهدية لصاحب السلطة رشوة محرمة إن قصد من ورائها الحصول على مصلحة إلا أن يكون لك حق لا تناله إلا بها فهى محرمة على الآخذ دون المعطى، فالمعطى لا حيلة له لأنه لن يحصل على حقه إلا بها، بشرط أن يكون حقه المحكوم، كبراءته مثلا من تهمة لم يفعلها.

---

(١) تيعر: تصيح، والعيار صوت الشاة

(٢) عفرتى إبطه: قال الاصمعى وأخرون: عفرة الابط هى البياض ليس بالناصع بل فيه شىء كلون الارض، قالوا: وهو مأخوذ من عفر الارض.. وهو وجهها.. ذكره النووى

(٣) الحديث رواه البخارى ومسلم وغيرهما

(٤) بدائع الفوائد (٦٦٨/٣) للعلامة ابن قيم الجوزية


المراجع

١- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير القرشى الدمشقى المتوفى سنة ٧٧٤ هـ، ط دار الفكر - بيروت - ١٤٠١ هـ.

٢- تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن - دار الكتب المصرية الطبعة الثالثة - تحقيق أحمد عبدالمنعم البردونى.

٣- فتح البارى يشرح صحيح البخارى - للحافظ ابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ، ط دار المعرفة بيروت - ١٣٧٩ هـ.

تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى - محيى الدين الخطيب.

٤- صحيح مسلم بشرح النووى/ للإمام يحيى من شرف الدين النووى المتوفى سنة ٦٧٦ هـ، ط دار الحديث - القاهرة - ١٤١٩ هـ - تحقيق وفهرسة عصام الصبابطى - حازم محمد - عماد عامر.

٥- الأدب المفرد - للإمام البخارى المتوفى سنة ٢٥٦ هـ - ط دار البشائر الإسلامية بيروت - ١٤٠٩ هـ - تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى.

٦- «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ، ط مكتبة المعارف - بيروت.

٧- «البر والصلة» - الحسين بن الحسن بن حرب أبوعبدالله المروزى المتوفى سنة ٢٤٦ هـ، ط دار الوطن - الرياض - سنة ١٤١٩ هـ، تحقيق د/ محمد سعيد بخارى.

٨- مكارم الأخلاق، للحافظ ابن أبى الدنيا المتوفى سنة ٢٨١ هـ، ط مكتبة القرآن - القاهرة - ١٤١١هـ، تحقيق مجدى السيد إبراهيم.

٩- الكرم والجود ـ محمد بن الحسين البرجلانى أبوالشيخ المتوفى سنة ٢٣٨ هـ، ط دار ابن حزم - بيروت - ١٤١٢هـ، تحقيق د/ عامر حسن صبرى.


فهرس الكتاب

فهرس الكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٧٤١٦/ ٢٠٠٣

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطي شبرا القاهرة
ت : ٥٧٨٧٩١٨ - ٥٧٩٩٩٤٢
الرقم البريدي : ١١٢٣١